مجلة شهرية

نور المسيح
ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ

عدد: Issue No: 43
آذار March 2011

جمعية نور المسيح ، رقم: ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠
Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

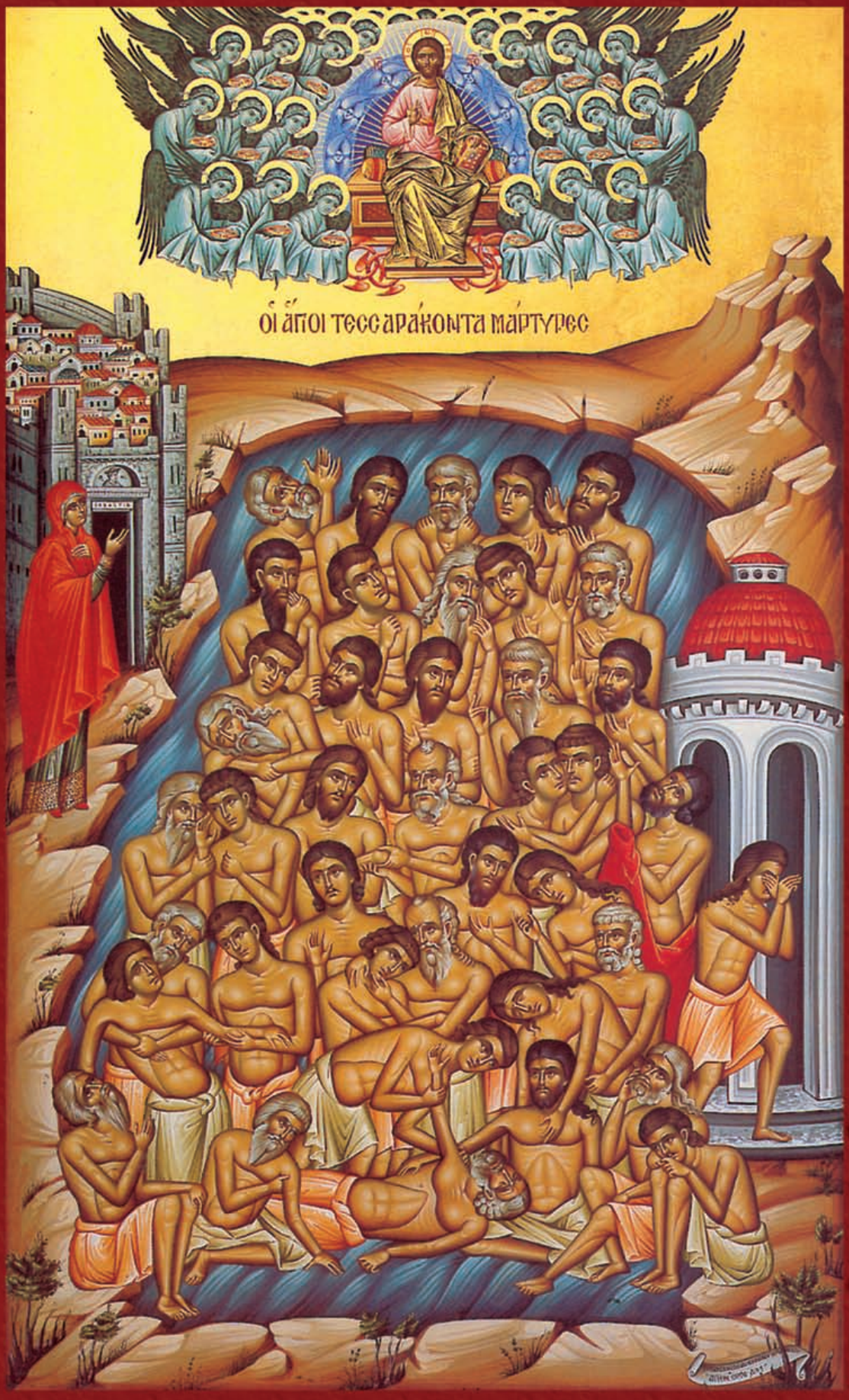


# تذكار الشهداء الأربعين الذين استشهدوا في مدينة سبسطية كباذوكية

## محتويات العدد


2 إفتح وأقرأ.

3 كلمة غبطة البطريرك كيريوس كيريوس ثيوفيلس الثالث

4 لباس الروح للقديس مكاريوس الكبير

6 الشهداء الأربعون

9 طريق النسّاك

10 أهميّة العمل وهدفه

12 تفسير القدّاس الإلهيّ

14 المسيح هو كلّ شيء

15 رموز العذراء

16 العهد القديم . (٢٧) زفس أو جوبيتر

17 قصص مليئة بالحكمة

18 أيّام الخليقة الستة

20 أثنولوجيا فلسطين

23 السجود والعبادة بالروح والحق القديس كيرلس الكبير

23 أنتم ملح الأرض



توزع هذه المجلة مجاناً

جمعية نور المسيح : كفركنا - الشارع الرئيسي (الحي الجنوبي) ص.ب. ٦١٩ تلفاكس ٠٤/٦٥١٧٥٩١

تقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال - الناصرة

حساب رقم : 12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

ترتيب وتحضير : هشام ميخائيل خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح


# إفتح وأقرأ

عاش المغبوط أغسطينوس في شبابه حياة الخلاعة والفجور وكان يبحث عن السعادة فلم يجدها في الشهوة.

فانصَرَفَ إلى العلم ولكنّ العلّم لم يَزده إلاّ إحساساً بالبؤس والشَقاء.

وفي عام (٣٨٦م) في حديقة من حدائق ميلان سمع صوت صبيّ يقول (إفتح وأقرأ).

وأسرع لقراءة الكتاب المقدّس ليجد الكلمات التي أعطته الراحة والسعادة وجاءت به إلى أحضان المسيح: «فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النّور» (رومية١٣:١٢).

كان لكلام الحياة تأثيره العجيب في حياته. فبعد أن كان يوغلُ في الشرِّ ويَعُبُّ من ينبوعه بلا وزن ولا كيل ، تَرك حياة الفجور وصار قدّيساً ومصدراً من مصادر الحياة التأمليّة في العالم كلّه.

الكتاب المقدّس هو نبع حياتنا وينبوع ماء الحياة الذي يروي جفاف قلوبنا.

### صديقي

إنّ حياتك هي رحلة طويلة ، هي عبور محيط ليس فيه علامات واضحة ، هي سير في بريّة ليس فيها إشارات. تمَسَّك بكلمات اللّه فهي الخريطة التي تكشف لك الطريق ، وهي البوصلة التي توجّه سَيرَك، وهي الزّاد الذي يسندك في رحلتك.

فوعود اللّه تدخل بك إلى طريق لم يسلكها بَشَر ، وتَهبَك الحكمة والتمييز ، وتدخل بك إلى أعماق الأبديّة.

إلتصق بها فَتَأْمَن مخاطر الطريق ..

**إنّ وصيّة الربّ لك تشكل أعماقك فتحمل صورته ...**

**وصيّته نور يضيء لك ظلام طريق الحياة.**

**وصيته مُفرحة تدخل بك إلى بهجة ملكوته.**

**وصيّته حكمة تحرسك من طريق الغباوة.**

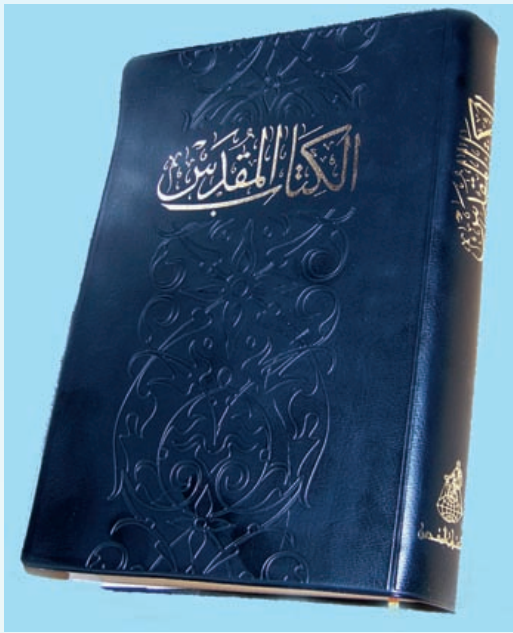


**وصيته سندٌ لك فلا تبتلعك الهموم.**

**وصيّته سامية ترفعك فوق العالم كلّه.**

الكتاب المقدّس هو أساس كل عمل روحي ، وعمود إرتكاز في هيكل الحياة الروحيّة.

قال عنه القديس أثناسيوس الكبير رئيس أساقفة الإسكندريّة : ﴿إنّه معلّم الفضيلة والإيمان والحقّ﴾.

إنّه يكشف لنا أسرار حبّ اللّه.

إنّ هناك خرائط لكل بقعة من بقاع الأرض ، وكل مسافر لبلد غريب يستطيع أن يقتني خريطة ذلك البلد الذي هو ذاهبٌ إليه خاصّة إذا كان لم يذهب إليه من قَبل.

وجميعنا سنذهب إلى حيثُ لم نذهب من قَبل. وهناك خريطة توضح لنا معالم الطريق لأعظم رحلة في الوجود. رحلة الإنطلاق إلى السماء ، وهذه الخريطة هي الكتاب المقدّس.

**يوجد أعظم رجاء لأعظم خاطىء إن هو داوَم على قراءة الكتاب المقدّس.**

**ويوجد أعظم خطر على أعظم قدّيس إن هو أهمل في قراءة الكتاب المقدّس.**

# كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث بمناسبة دخول المسيح إلى الهيكل

«إنّ الكامل يُفرَغ ، والذي قبل الدهور يأخذ بداية ، والكلمة تمتلىء ، والجابل يُجبَل (من العذراء) ، والغير الموسوع يوسَع في مستودعك يا عذراء المتلئة نعمة»

**أيها الأبناء المحبوبون بالربّ الفادي يسوع المسيح**

عيدنا في هذا اليوم، عيد القديس سمعان الصدّيق القابل الإله ، وحنّة النبيّة، هو استمرار للعيد العظيم عيد دخول المسيح إلى الهيكل. هذا العيد كما هو معروف يُحتفل به بعد مرور ٤٠ يوماً منذ ميلاد السيّد المسيح بالجسد.

ذكرى حدث عيد دخول المسيح إلى الهيكل يأتي لكي يؤكّد بقوّة وبصورة أكيدة سرّ تجسّد كلمة اللّه. هذا السرّ الذي كُرِزَ به قبلاً من قِبَل الأنبياء من ناحية ، وكان مختوماً في الكتاب المَقدس حسب الناموس من ناحية أخرى.

إن العذراء مريم تأخذ الدور الأوّل والمركزي في عيد دخول المسيح إلى الهيكل ، يليها سمعان الصدّيق ثانياً ، كما بشّر به الأنجيليّ لوقا.

حسب القانون الناموسي ، على الشعب الإسرائيلي أنّ يُكرّس اللّه كما أُمِرَ به موسى النبيّ. «وكلّم الربّ موسى قائلاً: قدّس لي كُلّ بكرٍ فاتح رَحم من بني إسرائيل ومن البهائم» (خروج ١٣:١-٢).

هذه الوصيّة في القانون الناموسي مربوطة ومتعلّقة بوصيّة تطهير المرأة التي وضعت مولودها ، وكذلك بالتقدمة التي كانت فريضة عند دخولهم إلى الهيكل بعد تتميم الأربعين يوماً منذ زمن الولادة (لاويين ١٢:١-٤).

هذه التقدمة ، كما هو مدوّن: «ومتى كَمُلَت أيام تطهيرها لأجل إبن أو إبنة تأتي بخروف حوليّ محرقة ، وفرخ حمامة أو يمامة ، ذبيحة خطيّة إلى باب خيمة الإجتماع إلى الكاهن . . . وإنْ لم تَنَل يدُها كفاية لشاة ، تأخذ يمامتين أو فرخي حمام الواحدة محرقة والآخر ذبيحة خطيّة فيكفّر عنها الكاهن فتطهر» (لاويين ١٢:٦-٨).

نفذّ يوسف العفيف خطيب العذراء ، ومريم والدة الإله ، هذه الوصيّة ، قادمين إلى الهيكل بصحبة الصبي الإلهيّ يسوع: «ولما تمّت أيام تطهيرها حسب شريعة موسى صَعِدا به إلى أورشليم ليقدّماه للربّ» (لوقا ٢:٢٢).

دخول الصبي يسوع إلى الهيكل يُعلَن ويُشاهَد للمَلأ ، إذ تمّ إستقباله بواسطة البار سمعان الصدّيق الذي قَبِلَه على ذراعيه. «أخذه على ذراعيه وبارك (أي مجّد) اللّه وقال: الآن أطلق عبدَك يا سيّد حسب قولك بسلام. لأنّ عينيّ قد أبصرتا خلاصَك الذي أعددته قدّام وَجه جميع الشعوب» (لوقا٢:٢٨-٣١).

**(خلاصك)** الذي أعدّه اللّه الآب أمام جميع الشعوب ، أيّها الأخوة الأحباء ، ما هو إلاّ مخلّص العالم ربّنا يسوع المسيح كلمة اللّه الكامل الذي أفرغَ ذاته ، الذي يُجبَل ويأخذ بداية ، المتجسّد في أحشاء العذراء مريم.

**(خلاصك)** حسبما يقوله القديس باسيليوس الكبير ، وحسبَ عادة الكتاب المقدّس الذي يُعلن ويدعو (خلاصك) : **هو المسيح اللّه**.

**(خلاصك)** حسب تعليم القديس أثناسيوس الكبير يتضمّن حضور التجسّد ، أي حقيقة التجسد الإلهيّ.

هذا هو بالتدقيق سرّ الحقيقة الخلاصي من خلال التجسّد العظيم لكلمة اللّه القدّوس، هذا السرّ الذي تُبَشّر به الكنيسة الأورشليميّة التي تحمل إسم سمعان الصدّيق حيثُ ضريحه الكريم ، هذه الكنيسة التي بُنِيَت بواسطة **أباطرة الروم الأرثوذكس الورعين**.

هذه البشارة والرسالة السارّة المكتوبة في ناموس الربّ، أنّه: «أنّ كل ذكر فاتح رحم يُدعى قدّوساً للرب» (لوقا٢:٢٢). هذا المعنى مربوط ومتعلّق فقط في المسيح المخلّص حسب القديس أمفيلوخيوس أسقف إيكونيون ، وليسَ لآخر غيره. علماً أنّ فحوى الآية يُشير بمضمونها إلى الجميع. لكن كما يعلّم قديسينا أمفيلوخيوس أن جميع العذارى يُفتح عندهن الرحمُ من خلال الجماع بين الزوجين ، وبعدها يأتي دور الولادة.

أمّا السيّد المسيح **فهو الوحيد** الذي ينفرد بوضعية خاصّة إذ هو الذي فتح الرحم البتوليّ من الداخل لأنّه حُبِلَ به بواسطة الروح القدس. من هنا يتبيّن أنّه هو الوحيد المدعو قدوسٌ للربّ.

مع كلّ الخبرات الشخصيّة ، وشهادة سمعان الصدّيق التي لا تقبل أدنى شك ، وكذلك الناحية التاريخيّة ذات الأسس الصحيحة والقويمة ومع كلّ هذا متى يقول الصديق سمعان: أبصرت عيناي خلاصك ، أي المسيح.

يا إخوتي الأحباء لا يستطيع العقل البشري أن يفهم كنه وفحوى ومضمون هذا السرّ حتى خارج المنطق بدون مساهمة قوّة الإيمان. « ... وأنّما ظهرت المعجزتان (الميلاد والقيامة) للذين يسجدون بإيمان للسرّ»... (القديس يوحنا الدمشقي – الأينوس – اللحن الخامس – المعزّي).

**أيها الأخوة الأحباء**

نستلم نحنُ أيضاً ترس الأيمان مقتدين بالبّار سمعان الشيخ لنصبح مستحقّين لإستقبال النور الخلاصي ، لربّنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع باليوم الرهيب في دينونته العادلة والمخيفة. آمين

كل عام وانتم بخير

**الداعي بالرب**
**البطريرك ثيوفيلس الثالث**
**بطريرك المدينة المقدسة أورشليم**

# لباس الروح

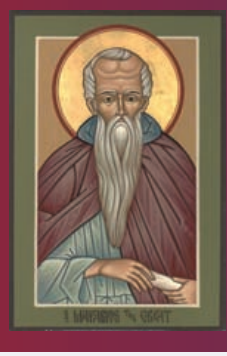

«المسيح، الطبيب الحقيقي
للإنسان الداخلي، وهو يستطيع وحده
أن يُخلّص النفس، ويزيّنها بثوب النعمة»..

**للقديس مكاريوس الكبير**

١ ـ إن كان أحد عرياناً لقلّة الملابس الإلهيّة السماويّة التي هي قوّة الروح القدس كقول الرسول بولس: «إنّ كان أحد ليس له روح المسيح فهو ليس من خاصّته» (رو٨:٩). فليبك ويتوسّل إلى الربّ حتى ينال الثوب الروحاني الذي من السماء ويأخذ غطاء لنفسه العارية من القوّة الإلهيّة لأنّ الأنسان الغير مكسوٍّ بكساء الروح فهو مكسو بالعيب العظيم: **عيب الأهواء الدنيئة**.

لأنّه كما في الأشياء المنظورة إن كان أحد عرياناً يحلّ به خزي وفضيحة عظيمة ، بل الأصدقاء ينصرفون عن أصدقائهم العرايا والأقارب عن أهاليهم. بل أن من البنين مَن رأوا أباهم عرياناً وصرفوا عنه وجوههم لكيلا يعاينوا جسد أبيهم العريان ، وإنما رجعوا على أعقابهم وستروه. ولذلك ارتفعت عنه عيونهم. كذلك ينصرف اللّه عن النفوس غير المكسوّة بلباس الروح في ملء ثقة الإيمان لكونها لم تلبس الربّ يسوع (رو١٣:١٤). بالقوّة والحقّ.

## خطورة العرى الروحي:

٢ ـ ثمّ أن الإنسان الأوّل لما رأى نفسه عرياناً خَجِلَ. فما أعظم فضيحة العريّ. فإذا كان من جهة الجسد يعتبر العريّ فضيحة كبرى ، فكم بالحريّ النفس العارية من القوّة الإلهيّة **التي لا تكتسي ولا تلبس اللباس الأبديّ الروحاني** غير الموصوف **وهو الربّ يسوع نفسه بالحقّ** ـ وهي مغطّاة بالخجل والأهواء الرديئة ، وكذلك كلّ مَن كان غير مكتسي **بذلك المجد الإلهيّ يجب عليه** أن يستحي ويقرّ بفضيحته كما استحى آدم من عري جسده ومع أنّه سَتَرَ نفسه بورق التين فلم يزل خجله مُصاحباً له لعلمه بفقره وعريه جداً.

**فعلى هذه النفس أن تطلب من المسيح الذي يُعطي المجد لكي يكسوها بالمجد في النّور الذي لا يوصف** ، بدون أن تعمل لنفسها غطاء من الأفكار الباطلة **أو تنخدع بزعمها أنها بارّة من نفسها** وأنّها تملك لباس الخلاص.

## المسيح هو برّ اللّه لنا:

٣ ـ **فإنّه إن إستَنَدَ أحد على برّه ولم يتطلّع إلى برّ اللّه ،هذا البرّ الذي هو الربّ يسوع** «الذي صار لنا برّاً وفداء» (١كو١:٣٠). كما يقول الرسول بولس ، فإنّ تعبه يُصبح باطلاً لا ثمرة له ، لأنّ كلّ زعمه ببرّه يظهر في اليوم الأخير كلا شيء بل يكون مثل خرقة نجسة كما قال أشعياء النبيّ «كخرقة الحائض كل برّنا» (أش٦٤:٦).

**فلنطلب إذن من اللّه ونتوسّل إليه أن يلبسنا لباس الخلاص وهو الربّ يسوع المسيح ، النّور الفائق الوصف** الذي إذا لبسته النفوس لا تخلعه قَطّ ، بل تتمجّد أجسادهم أيضاً في القيامة بمجد ذلك النور الذي تلبسه النفوس الأمينة الفاضلة منذ الآن حسب قول الرسول: «إنّ ذلك الذي أقام المسيح من بين الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم» (رو٨:١١). فالمجد لمراحمه المتعظّمة ولرأفته التي تفوق كل وصف وكل تعبير.

٤ ـ وأيضاً كما أنّ المرأة التي كانت معتلّة بنزف الدمّ لما صارت مؤمنة بالحقّ ، ولمست طرف ثوب ربّنا شفيت حالاً وانقطع نزيف دمها النجس ، كذلك كلّ نفس فيها جرح الخطيّة الذي لا شفاء له ، وينبوع الأفكار الخبيثة النجسة . **إن هي أتت فقط إلى المسيح وَصَلَت إليه بإيمان صحيح فإنّها تعود إلى الصحة وتَخلُص من ينبوع الأهواء الفاسدة الذي لم يكن له علاج**. وذلك الينبوع الذي يُخرج أفكاراً نجسة **لا ينقطع ويجفّ إلاّ بقوّة المسيح فقط** ، وليسَ لأحد غيره قدرة على شفاء هذا الجرح. لأنّ العدوّ كان محتالاً للغاية في معصية آدم حتى أنّه جَرَحَ الإنسان الباطن وأظلمه أي العقل المُرشد الذي ينظر اللّه. فمالت عيناه بعد ذلك إلى الخطيّة والأهواء وكانت مُغلقة عن رؤية خيرات السماء.

## المسيح وحده هو الذي يخلّص ويشفي النفس مجاناً:

٥ ـ فهذه كانت شدّة جرحه حتى أنّه لم يستطع أن يَشفه منه غير الربّ وحده. ولهذا فقد جاء «ورفع خطيّة العالم» (يو١:٢٩). أي جفّف الينبوع النَجس. ينبوع أفكار النفس. لأنّه كما أنّ تلك المرأة التي كانت مريضة بنزف الدم كانت قد صرفت كلّ ما كان لديها على الذين وعدوها بالشفاء ولم يشفها أحد ، إلى أن أتت إلى الربّ بإيمان صادق ولمست طرَفَ ثوبه فشعرت حينئذ بالشفاء في الحال ، ووقفَ نزف

الدم. كذلك هو حال النفس التي جُرِحَت منذ البدء بجرح أهواء الخطيّة الذي لا شفاء له ، فلم يقدر أن يعالَجه أحد من الأبرار. كلاّ ولا الآباء ولا البطاركة.

٦ ـ وقد أتى موسى ولكنّه لم يقدر أن يُعطي شفاءً كاملاً. والكهنة والعطايا والعشور والسبوت والآهلة والغسلات والذبائح والمحرقات وسائر متفرعات البرّ كانت تُحفَظ جميعها بالدّقة تحت الناموس. ومع ذلك لم يمكن بها شفاء النفس وتطهيرها من الينبوع النجس أي ينبوع أفكار الخطيّة. وكلّ برّ النفس لم ينفع لشفاء الإنسان **إلى أن أتى المخلّص نفسه الطبيب الحقيقي الذي يشفي مجاناً فبذل نفسه فداءً لجنس البَشَر. فهو وحده صنع فداء النفس العظيم وخلاصها وشفاءها** ، وهو ذاته الذي حرّرها من العبوديّة وأخرجها من الظلمة ممجّداً إيّاها بنوره الخاصّ. فهو حقّـاً جفّف ينبوع الأفكار النجسة الذي كان فيها لأنّ الكتاب المقدّس يقول: «هوذا حمل اللّه الذي يرفع خطيّة العالم» (يو١:٢٩).

## الدواء الوحيد:

٧ ـ لأنّ أدويتها التي كانت من الأرض يعني أفعالها البّارة لم تقدر أن تعالجها وتشفيها من هذه الضربة العظيمة غير المنظورة ، **بل يتمّ الشفاء بالطبيعة السماويّة الإلهيّة التي لموهبة الروح القدس. فإنّه بواسطة هذا الدواء فقط يمكن للإنسان أن يجد الشفاء ويحصل على الحياة إذ يتطهّر قلبه بالروح القدس.**

ولما لمست هدب ثوبه إنقطع مسيل دمها .. الأعمى يُناجي المخلص مستجدياً : إرحمني يا ابن داود

ولكن كما أنّ تلك المرأة ، ولو أنّها لم تكن قد شفيت وكان فيها مرضها لكنها جاءت بقدميها إلى الربّ ، وعند مجيئها نالت الشفاء ـ وكما أنّ الأعمى أيضاً الذي لم يقدر أن يمشي ليأتي إلى الربّ ، بسبب عماه ، صرخ إليه صرخة شديدة وصل بها إلى الربّ لأنّه قال:«إرحمني يا ابن داود» (مرقس١٠:٤٧). وبإيمانه نال الشفاء إذ أن الربّ أتاه بنفسه وجعله يُبصر بوضوح ـ كذلك النفس ولو أنّها جُرِحَت بجروح الأهواء الفاسدة وعميت بظلمة الخطيّة **فمع ذلك لا تزال فيها الإرادة أن تصرخ إلى يسوع وتناديه ليأتي ويصنع لها فداءً أبديّاً.**

## ضرورة المجيء إلى المسيح بثقة وإيمان:

٨ ـ لأنّه كما أنّ الأعمى لو لم يصرخ إلى الربّ ، والمرأة التي كان بها النزف الدموي لو لم تأت إليه لما وجَدا الشفاء. **كذلك الآن إن لم يأت الإنسان إلى الربّ بإرادتهَ وبكل نيّة قلبه ويطلب منه بثقة الإيمانَ التّامة فلا يشفى أبداً. فلماذا شَفَى هذان الإثنان للوقت بإيمانهما ، ونحنُ لم يعد إلينا بصرنا بالحقيقة ولم نُشفَ من أمراضنا الخفيّة ؟**. مع أنّ الربّ يهتم ويعتني بالنفس غير المائتة أكثر من الجسد ، لأنّها إن انفتحت عينيها ، كما يقول: «إفتح عينيّ» (مزمور١١٨:١٨). فلا تعمى أبداً فيما بعد. وإن شُفَيت فلا تعود تنجرح أبداً. فإنّه إن كان الربّ عند مجيئه على الأرض إعتنى بالأجساد الفاسدة ، **فكم بالحريّ يعتني بالنفس غير المائتة المصنوعة على شبهه؟ ولكن بسبب قلّة إيماننا وانقسام قلوبنا وعدم محبتنا له من كل القلب ، وعدم إيماننا به حقيقة ، لذلك لم نجد بعد الشفاء الروحي والخلاص.**

**فلنؤمن به إذن ولنأت إليه بالحقيقة لكي يتم فينا حالاً عمل الشفاء الحقيقي** لأنّه وَعَدَ بأنّه يُعطي للذين يسألونه روحه القدوس ويفتح للذين يقرعون وبأنّ الذين يطلبونه يجدونه. فالذي وَعَد لا يمكن أن يكذب ، له المجد والقدرة إلى الأبد آمين.

# مديح والدة الإله الكليّة القداسة

**مدينة القسطنطينيّة**
**التي أنقِذت من يد البرابرة ،**
**تشكر والدة الإله قائلة: إني أنا**
**مدينتك يا والدة الأله ، أكتب لك**
**رايات الغلبة يا قائدة محامية ....**

تكريم والدة الإله العذراء مريم الكليّة القداسة خاصّة في زمن الصوم الأربعينيّ المبارك ، يأتي مُذكّراً إيّانا بدورها الخلاصيّ ، يأتي واضعاً نُصبَ أعيننا سيرتها الطاهرة لكي نقتدي بها ، يأتي عاضداً إيّانا بشفاعاتها لدى السيّد حتى نُكمّل الجهاد الحَسَن.

العذراء مريم هي أُمّ المسيحيين ، هي حوّاء الجديدة ، حين أضحى الخَلق القديم مُشَوّهاً عبْرَ ضعف الجدّيّن الأوليّن ، أَتَت العذراء بوابّة عَبَرَ منها المخلّص ليجدّد الخليقة كلّها ؛ فانظر حياةً مُفعَمة بالطُهر، واعجب ممن إحتار في شأنها طغمات الملائكة.

ها مريم أمام سرّ حبلها الفائق الطبيعة ، تُجيب الملاك بطاعة وتواضع عظيمَيْن: أنا أمة الربّ لا يثنيها مجدٌ زمنيّ ، لا تُرهبُها قوّةٌ أرضيّة ها هي تقضي حياتها بالصلاة والفضائل متأمّلة في أحكام الربّ ، حافظة كلّ الأمور في قلبها ، ها أنها تشفع بدالتها الوالديّة لدى السيّد حتى يظهر مجده في عُرسنا ، فَيَكْمُل فَرَحُنا.

ها مريم واقفة عند أقدام الصليب تنظر إبنها مصلوباً، عادمَ النسمة. لكنّها تُعاين قيامته المجيدة، وتلبث مع التلاميذ تُصَلّي معهم وتبتهل من أجلهم كلّ حين حتى إنتقالها إلى الأخدار السماويّة، لذلك إستأهلت مريم أن تسمو كرامة على الشيروبيم وتفوق مجداً على السيرافيم ،إستأهلت أن تكون بالحقيقة والدة الإله.

ونحنُ إذ قد وجدناك يا ذات كلّ تسبيح شفيعةً ورجاءً ، نهتف إليك مع الملاك قائلين: إفرحي يا عروساً لا عريس لها.

# سنكسار
# تذكار القديسين الشهداء الأربعين المستشهدين في سبسطية

لقد فاقت البطولة المسيحيّة في جميع العصور كل بطولة عالميّة، بما أتته من أعمال الشهامة المجيدة في كل ناحية من نواحي الحياة. إنّه لهَيّنٌ على المرء أن يستبسل في ساحة الوغى، وأن يسفك دمه وهو يقاتل أعداءَ وطنه وبلاده، تُثير نخوته نخوة رفاقه، وتستنهض حماسته حماسة قوّاده، فيطير إلى الموت على أصوات الأبواق وقوقعة الطبول. لقد يحلو الموت ويضحي شهيّاً في مثل هذا السبيل المجيد. ولكن أن يموت الإنسان ويستعذب الموت وهو غائص في بحر من العذاب والهوان، وأنّ تُقدّم العذراء على شفرات السيوف وأسنّة الحراب والمسامير وهي تترنّم، فيما ترنّ في آذانها أصوات السخط واللعنات، وأن يُجَرَّد القائد من سلاحه ويقف وقفة المجرم ويُسلَّم إلى أيدي جنوده ليُذيقوه العذابات المُـرَّة، ساخرين منه هازئين بفروسيّته ساخطين علىَ خيانته لوطنه، وهو صامت يتألّم كأنّه لا يشعر، ويموت وهو متهلّل، وذلك كلّه لأجل عقيدة في النفس وإله محب في السماء، تلك هي البطولة الحقّة والعظمة التي لا تقف أمامها عظمة على الأرض.

وإنّ حادث **إستشهاد هؤلاء القديسين الأربعين**، الذين ضحّوا بشبابهم ورتبهم ومستقبلهم وحياتهم لأجل المسيح في مدينة سبسطية في مقاطعة كباذوكية في آسيا الصغرى، **لهو من أروع الحوادث التي عرفها التاريخ بهولها وشدّتها.**

## من هم الشهداء الأربعون:

كانوا قوّاداً في الفرقة الرومانيّة المعروفة بالنّاريّة، وكانوا تحت إمرة **الأمبراطور ليكينيوس** صهر **الملك العظيم قسطنطين الكبير**، وكانوا في حرب في بلاد إرمينيا على الحدود الشرقيّة. وكانت تلك الفرقة مشهورة ببسالتها وشدّة بأسها. وكان بين أفرادها رجال مسيحيّون، ولكن المسيحيين الحقيقيين الذين يعرفون لملك السماء حقوقه، ولأجله يقدّسون ملك الأرض وسلطانه. والرجال المسيحيّون في تلك الفرقة هم الذين كانوا يوماً قد خلّصوا الفرقة بأسرها من أن تموت عطشاً في الصحراء على عهد **مركُس أوريليوس**، لما جثوا وصلّوا إلى إله السماء فجادت السماء عليهم بأمطارٍ غزيرة أروت الجيش والخيل والبهائم.

كان **ليكينيوس الأمبراطور** رجلاً متكبّراً جاهلاً. فلما قطع صلته **بقسطنطين العظيم إمبراطور بلاد الروم**، جاهَرَ المسيحيين بالعداء، على مثال مَن تقدّمه من القياصرة. وكان إذ ذاك على رأس جيشٍ جرّار في إقليم أرمينيا. وكانت الفرقة تحت قيادة **ليسياس الوثنيّ**.

واجتمع الجيش بأمر **ليكينيوس** لتقدمة الذبائح للأوثان. فامتنع **أربعون من قوّاد** تلك **«الفرقة النّاريّة»** عن الإشتراك في تلك الذبائح. وعلم بذلك والي مدينة سبسطية، حيثُ كانوا معسكرين. فجاء إلى مقرّ الجند لتنفيذ أمر الأمبراطور.

## الشهداء الأربعون أمام الحكّام:

واستدعى **أغريكولا الوالي** أولئك الضبّاط وأخذ يحقّق معهم. فكان كلّما سأل أحدهم ما اسمك، أجاب: **أنا مسيحيّ**. ومن بديع كلام **القديس باسيليوس الكبير** في تعليقه على جواب هؤلاء الأبطال قوله: «إنّ هؤلاء الرجال، على مثال الأبطال الذين يأتون إلى المشهد فيسجّلون أسماءهم بين المصارعين، تقدّموا فسجّلوا أسماءَهم أيضاً. ولكن أبطالنا تناسوا أسماء عيالهم فلم يقل أحدٌ منهم: أنا فلان ابن فلان، لأنّهم كانوا كلّهم إخوة للمسيح من أسرة واحدة وإيمان واحد مستقيم الرأي. بل أجابوا كلّهم على سؤال الحاكم: **أنا مسيحيّ**».

إلاّ أنّ الحاكم أغريكولا عمل أوّلاً على إرضائهم وإرجاعهم عن غيّهم

فذكر لهم شجاعتهم ومواقفهم البديعة وتاريخ حياتهم المجيد. ووعدهم بأنّ القيصر سوفَ يكافئهم على خدماتهم ، وأنّ عليهم أن ينقادوا لإرادته ويخضعوا لأوامره.

فأجابه أولئك الرجال القدّيسون: إذا كُنّا قد عملنا أعمالاً مجيدة في سبيل الملك الأرضي ، كما تقول ، فما عساه أن يكون موقفنا في خدمة ملك السماوات ؟ كُن على ثقة أنّنا سنبقى أبطالاً ، فلا نخون ذاك الملك. وسوف ننال الأنتصار.

فغضب **أغركولا** وانتقل من الوعد إلى الوعيد والتهديد. وقال لهم: إن لم يرجعوا عن غيّهم ، فإنّ الأمبراطور سوفَ يُسقطهم من مناصبهم ويجرّدهم من أسلحتهم ويُذيقهم مُـرّ الهوان والعذاب. أما هو فيترك لهم الوقت الكافي لينظروا في أمرهم. ثمّ أرسلهم إلى السجن.

فدخل أولئك الأبطال إلى السجن ، وما كانوا عرفوا إلى ذلك الحين سوى ميادين القتال. ثمّ صلّوا وقالوا: **أيها الربّ القدير ، كما نجيّتنا إلى الآن من أخطار الحروب ومنحتنا الظفر في ساحات الوغَى ، لا تهملنا الآن ، وقد دخلنا لأجل مجدك في ميدان هذا الجهاد.**

وقضوا الليل وهم يصلّون ويردّدون المزمور: «الساكن في عون العليّ في ستر إله السماء يسكن ..». فظهر لهم الربّ يسوع بغتةً وشجّعهم وقال لهم: كما بدأتم حسناً أتمّوا حسناً. فإنّ الإكليل مُعَدٌ للذي يثبت إلى المنتهى.

وفي اليوم الثاني أرسل الحاكم في طلبهم. فأتوا ووقفوا أمام منبره. فأخذ يثني على ماضيهم ويُعلن أمام رفاقهم شهامتهم ، حتّى تطرَّق إلى القول بأنّ عليهم أن يذعنوا لأوامر ملكهم وأن لا يكونوا من العصاة المجرمين. لكنّه اصطدم مرّة ثانية بثباتهم على عزمهم وتمسّكهم بإيمانهم وعقيدتهم. فأعادهم إلى السجن.

فقام أحدهم فيهم خطيباً وهو **كريّون** وقال لهم: (أيها الرجال الأخوة ، لقد شاءَت عناية المولَى أن تجمعنا في فرقة واحدة وفي إيمان واحد. فيجب ألاّ نفترق البتّة ، لا في الحياة ولا في الموت. فكما خدمنا القيصر ، وهو رجل مائت ، وعرَّضنا صدورنا لأجله في مواقع عديدة ، كذلك علينا الآن أن نخدم **ملك السماء**. ونقدّم حياتنا ذبيحة لأجل حبّه. فهو سوف يُعطينا حياة أبديّة ليس **للأمبراطور ليكينيوس** أن يمنحنا مثلها. كم مرّة طلبنا إلى اللّه ، ونحنُ في معامع القتال ، أن يُنجينا من الأخطار ويحفظنا ، فاستجاب لنا. فهو لا يهملنا الآن في هذه الحرب المجيدة التي نخوض غمارها لأجل اسمه. هلمّوا إلى الصلاة والإستغاثة بساكن السماء. فإنّ اللّه أمين ، وهو يُعين الذين يتأمّلون لأجل إسمه تعالى).

وقضوا في السجن إسبوعاً كاملاً. ولم يكن الحرّاس يسمعون منهم سوى أصوات التسابيح ونغمات النشائد. وفي غضون ذلك وصَلَ قائدهم «**ليسياس**» ، فاستدعاهم إليه. وفيما هم سائرون كان **كريّون** يقول لهم: «إنّ أعداءنا ثلاثة ، وهم الشيطان والحاكم وقائدنا. أو بالأحرى أنّ عدوّنا واحد وهو إبليس ، الذي يستخدم هذين الإثنين للتنكيل بنا. ولكن هل يستطيع واحد أن يقهر أربعين من جنود المسيح؟ هذا أمر لا يكون. لا يكون إلاّ إذا وُجدنا جبناء».

فلمّا مثلوا بين يديّ قائدهم، بدأ أوّلاً فتملّقهم بغية أن يستميلهم. فلم ينجح. فوعدهم بالرتب والأموال. فلم ينجح. حينئذ إستشاط غضباً وأمَرَ الجند أن يكسّروا لهم أسنانهم بالحجارة بحضرته. فأَخَذَ الجند حجارة وجعلوا يرمونهم بها على وجوههم. لكن اللّه أراد أن يشجعهم ، فوَقاهم أذى تلك الحجارة ، بل كانت بفعل إلهي تعود على مَن كان يرشقها وتدمّيه. فنَسَبَ **ليسياس** ذلك إلى فعل السحر. وأخذَ هو حجراً ورمى به أحد أولئك الرجال القديسين. فذهب ذلك الحجر وضَرَب الحاكم (**أغريكولا**) على رأسه فشجّه. حينئذ كَفُّوا عن ضربهم وأعادوهم إلى سجنهم.

فعادوا إلى تلاوة التسابيح. وكانت نفوسهم تفيض شكراً للّه على ما أولاهم من ثبات وشجاعة أمام قائدهم ، وعلى دفاعه عنهم في تلك المعركة الأولى. وكانوا يردّدون المزمور: «إليك رفعتُ عينيَّ يا ساكن السماء ، ها هما كمثل عيون العبيد إلى أيدي مواليهم». فظهر لهم الربّ يسوع مرّة ثانية ، وسمعوا صوتاً يقول لهم: «من آمن بي ، وإن مات فسيحيا. ثقوا ولا تخافوا العذاب ، فإنّه سريعاً يزول. جاهدوا جهاداً حسناً لتنالوا الإكليل».

فكانت لهم زيارة يسوع تعزية كُبرى. وقضوا الليل بطوله في تلاوة الصلوات والتسابيح. فلما كان الصبح قادوهم إلى مجلس الحاكم ، حيثُ سمعوا حُكم **الإعدام** الصادر في حقّهم، وهو أن **يُعَذّبوا وسط بحيرة قد جمد ماؤها من شدّة البرد ، إلى أن يموتوا**. واردف الحاكم القول: إنّه يُقيم لهم من تلك البحيرة حمّامات ساخنة لمن يُريد أن يمتثل أوامر القيصر ويخلص من ذلك الجليد.

## الشهداء الأربعون في البحيرة المتجمّدة:

فقاد الجند أولئك الأبطال إلى البحيرة القائمة بالقرب من مدينة سبسطية ، ليلقوهم في الماء المتجمّد. إلاّ أنّ الشهداء البسلاء ما كادوا يصلون إلى ضفاف تلك البركة حتى أسرعوا ونزعوا ثيابهم وألقوا بأنفسهم في ذلك الجليد، وهم يشجّعون بعضهم بعضاً ويسبّحون الربّ. وكانوا يقولون بعضهم لبعض: «**إنّ الجند نزعوا ثياب الفادي الإلهي واقتسموها بينهم. وأنّ يسوع احتمل ذلك لأجل معاصينا. فلننزع الآن ثيابنا لأجل حبّه ، ونُكَفِّر بذلك خطايانا**». وكانوا يصلّون في وسط الجليد ويُثبّتون بعضهم بعضاً بكلام يُنعش فيهم روح الإيمان ويثير حماستهم. وكانوا يقولون:«**نزلنا أربعون إلى الماء ، فسنذهب أربعين إلى السماء**».

إلاّ أنّه لا نعيم على الأرض بغير **كدر يشوبه**. فبينما كان هؤلاء الأبطال يضحّون بحياتهم في سبيل إيمانهم ، خارت قوى أحدهم. فخرج مُسرعاً من الجليد إلى الماء الساخن. فناداه رفاقه. فلم يسمع

لهم. بل أصَرَّ على النجاة من ذلك العذاب. إلاّ أنّ ذالك المسكين لقي حتفه قبل أن يعود إلى نعيم الحياة الزائلة.

ولكن خيانة أحدهم ، وإن آلمت قلوبهم ، لم تكن إلاَّ لتثبّتهم في جهادهم. فصمدوا بنفس جبّارة للموت الذي كانوا يرونه مُسرعاً إليهم. وانتصف الليل والشهداء يتألّمون ، ولكنّهم يسبّحون ويجاهدون. أما الحرّاس الواقفون فكانوا ينظرون إليهم بإكبار وإعجاب. وقبل الفجر بقليل ، في تضاعيف ذلك الظلام الدامس ، ظهر بغتة نورٌ سماويّ أضاءَ البحيرة . ونزلت الملائكة من السماء وفي يد كل منهم إكليل. فوضعوها على رأس كلّ شهيد من أولئك الشهداء التسعة والثلاثين.

وشاهَد تلك الأعجوبة أحد الحرّاس ، فحرّكت نعمة الروح القدس قلبه ، وامتلأ من الإيمان وصاحَ برفاقه وقال: **أنا مسيحيّ!** وأريد أن أموت لأجل المسيح بدل ذاك الذي خانه وهرب من ميدان الجهاد. ثمّ نزع ثيابه ورمى بنفسه في الماء. فعاد الشهداء إلى عددهم الأوّل ، وأضحوا أربعين ، وفاضت نفوسهم بالشكر لتدبير المولى عزَّ وجلّ.

## موت الشهداء الأربعين:

فلما كان الصباح كان الكثيرون من أولئك الشهداء البُسُل قد ماتوا ونالوا في السماء إكليل الإستشهاد. ولما عَلِمَ الحاكم **أغريكولا** بما حدث في الليل إغتاظ جداً. وأمر بأن يُخرَج الجُنَد الشهداء من البحيرة ، وأن تُكسَر سوقُ من بقي حيّاً ، وأن تُحرَق أجسامهم جميعاً في النّار .

فأخرجهم الحرّاس كلّهم ، وكسروا ساقَيّ كل مَن وجدوه حيّاً بعد. ووضعوا تلك الأجسام المائتة والمهشّمة بعضها فوق بعض في عربة ، وذهبوا بها ليحرقوها. وكان البعض من أهالي الشهداء ، وغيرهم أيضاً من المسيحيين ، قد أتوا ليتبرّكوا خلسةً بنظرة إلى أولئك الأبطال أو بقبلة أجسامهم المائتة. وحدث أن الجنْد الذين هشّموا أجسام القديسين أبقوا على واحد منهم كانت الحياة لا تزال قويّة فيه ، وكان الشباب يتدفّق من عينيه ، على أمل أنّ ما قاساه من الآلام يثني من عزمه فيكفر بالمسيح ويعود إلى الحياة. فتركوه مُلقَى على الحضيض وساروا بالباقين.

وكانت والدة ذلك الشاب بين الحضور. فلمّا رأت ما كان ، بدل أن تفرح بأمل عودة إبنها إليها ، خافت عليه أن يفوته إكليل الإستشهاد. فركضت إليه تلك الأمّ القديسة وأعانته على الجلوس، وأخذت تشجّعه وتكلّمه عن أفراح السماء. وأمجاد القديسين ، وتقول له: «يا نور عينيّ ، تشجّع حتى تذهب إلى أنوار الملكوت فتُعزّي قلبي الكسير وتجعلني أسعد الأمهات على الأرض». ثمّ حملته وركضت وراء العربة وألقته بين رفاقه. فشتمها الجند ولكموها ، وحملوا ذلك الشاب مع سائر الشهداء إلى النّار. فتبعته وهي تصلّي وتتضرّع إلى اللّه ، لكيّ يثبّت إبنها ويقبل ذبيحة قلبها.

وهكذا قضى الشهداء الأربعون ، بعد أن ذاقوا جميع أنواع العذابات ، وصمدوا لها حُبّاً لحبيبهم المعلّم الإلهيّ والفادي الكريم الذي عاش ومات لأجلهم. وذهبوا إليه في ملكوته ، لينعموا معه بالأفراح السماويّة مدى الأبديّة. وكان ذلك في **التاسع من آذار سنة ٣٢٠ م.**

فمن ذا لا ينحني بإعجاب أمام أولئك الجنود البُسَّل ، ويكرّم إيمانهم وشجاعتهم وكبر نفوسهم وإيثارهم أمجاد الآخرة على نعيم الدنيا؟ **ومَن ذا لا يقف باحترام وإجلال أمام شهامة تلك الأمّ المسيحيّة التي اقتدت بالبتول مريم ، فقدّمت إبنها بيدها ذبيحة مرضيّة على هيكل الرجاء والمحبّة الصادقة؟** أليست أمثال هذه الأعمال المجيدة دليلاً على البطولة السامية ، وعلى رسوخ عقيدة الإيمان منذ الصغر في قلوب أولئك المسيحيين؟

وقامت الدنيا من بعد استشهاد الجنود الأبطال البُسل ، تكرّمهم وتحتفل بيوم وفاتهم وانتصارهم. **وهم:**

**إنكياس وأغلائيوس وأيتيوس وأثناسيوس وأكاكيوس وألكسندرُس وببيانوس وغائيوس وغرغونيوس وغرغونيوس أيضاً ودومتيانوس وذومنس واكذيكيوس وافنويكوس وافتيشيس (سعيد) وافتيشيوس واليانوس والياس وايراكليوس (هرقل) وايسيشيوس وثاودولس (عبد اللّه) وثيوفيلس ويوحنا وكلاوديوس وكيرللس وكيرين ولسيماخس ومليطُن ونقولا واكسنثياس ووالريوس ووالس وبريسكس وسكردون وسبريانوس وسيسينيوس وازمارغدُس وفيلوكتيمن وفلابيوس وخوذيون.**

ويقول **القديس غريغوريوس أسقف نيصص** أنّ عبادتهم كانت قد انتشرت في بلاد الشرق والغرب ، وأنّ الكنائس كانت تتهادى عظامهم كذخائر مقدّسة ثمينة.

وكان باسيليوس وإميليا والدا **القديس باسيليوس الكبير** من سبسطية. فلما تركاها وجاءا إلى أراضيهما في الأيرس ، حملا معهما من ذخائر القديسين الشهداء الأربعين ما حملا. وبنيا فيها كنيسة لأجل إكرامهم وحفظ عظامهم. وأنشأت إبنتهما **القديسة ماكرينا** ديراً للراهبات على اسمهم. وكانت أوّل رئيسة لهذا الدير .

ولا تزال كنيستنا الروميّة الأرثوذكسيّة تعيّد لهم كلّ سنة في التاسع من كل شهر آذار حسب التقويم اليولياني الشرقي ، الواقع في الثاني والعشرين منه حسب التقويم الغريغوري الغربي. طالبة شفاعتهم لينالوا لنا الثبات في الجهاد ضدّ أعداء خلاصنا حتى النفَس الأخير ، فنفوز على مثالهم بالإكليل المُعَدّ لكل مَن يُجاهد جهاداً شرعيّاً.

وهذا اليوم أيضاً هو عيد **صاحب الغبطة كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم** حيثُ يحمل إسم ثيوفيلوس أحد الشهداء الأربعين.

وبهذه المناسبة الروحيّة العطرة تتمنّى **جمعيّة نور المسيح لصاحب الغبطة: مديد الأيام على عرش الكرسي الأورشليميّ لتثبيت رواسخ الإيمان الآبائي الروميّ المستقيم الرأي . ولسنين عديدة ، مجيدة ، ومباركة. يا صاحب الغبطة.**

يقول **القديس إشعياء، الناسك المصري**، عن صلاة القلب إنه مرآة العقل ومنارة للضمير. وقد شبهها آخر بطنين دائم، وصوت هادئ في داخل البيت: فكل اللصوص الذين يتسللون إلى الداخل، يهربون سريعًا حينما يسمعون أنّ هناك شخصًا ما متيقظ في الداخل. فالبيت هو القلب واللصوص هم الميول الشريرة. الصلاة هي صوت الشخص المتيقظ الساهر ولكن الشخص الساهر لم يعد هو أنا، بل المسيح.

النشاط الروحاني يجسّد المسيح في داخل نفوسنا. هذا يستلزم تذكرًا مستمرًا للرب:

فأنتَ تخبئه في داخلك، في داخل نفسك، داخل قلبك، داخل شعورك «أنا نائمة وقلبي مستيقظ» (نشيد الأنشاد ٥:٢).

فأنا نفسي أنام، وأنسحب، ولكن القلب يظل ثابتًا في الصلاة، أي في الحياة الأبدية، في ملكوت السموات، في المسيح، إنّ جذور كياني تقف بصلابة متأصلة في مصدر وجودها.

**" يا ربي يسوع المسيح، يا ابن اللّه، ارحمني، أنا الخاطىء "** .

ردّد هذه الصلاة بصوت عال، أو ردّدها في فكرك، بهدوء، وببطء، ولكن بانتباه، ومن قلب متحرر بقدر الإمكان من كل ما هو غير مناسب لها، فليست الاهتمامات العالمية فقط غير مناسبة لها، بل أيضًا الأشياء الأخرى مثل: أي نوع من اللهفة والتوقع أو التفكير في الجواب، أو الرؤى الداخلية، الشكوك، وكل أنواع الأحلام الخيالية، وكل الأسئلة والتصورات الفضولية، **فالبساطة** هي شرط لا مفر منه مثلها مثل **التواضع**، ومثل **الاعتدال** فيما يخص الجسد والنفس، وعلى وجه العموم كل شيء يتصل بالحرب غير المنظورة.

وبنوع خاص يجب على المبتدئ أن يحذر من كل شيء يميل أقل ميل نحو التصوف. فاستدعاء اسم يسوع بالصلاة هو نشاط، وهو ممارسة عملية، وهو وسيلة بها يمكنك أن تنال القوة التي تدّعي **" نعمة اللّه "** ، وأن تستخدم هذه القوة – هذه القوة الحاضرة على الدوام، ولكنها مختفية في داخل الشخص الذي اعتمد – وذلك لكي تأتي هذه القوة بثمرها. الصلاة تخصب هذه القوة في داخل نفسنا، وليس لها هدف آخر. إنها مطرقة تقوم بتهشيم الصدفة: والمطرقة صلبة وضربتها تجرح. إنزع عنك كل فكر عن السرور، والنشوة، والأصوات السماوية: إذ أن هناك طريق واحد إلى ملكوت اللّه، ألا وهو طريق الصليب.

فإن تُعلق مصلوبًا على خشبة هو عذاب مروّع. فلا تتوقع شيئًا آخر. لقد صلبت جسدك بتسميره بطريقة بسيطة وموحدة للحياة تحت نظام دقيق لانضباط النفس. وهكذا أيضًا فإنّ حياتك الفكرية وخيالك ينبغي أن **تُضبط بشكل حاسم**. لذلك سمّر أفكارك بكلمات الصلاة والكتاب المقدس، بقراءة المزامير وأقوال الآباء القديسين، التي فيها تجد التوصيات المستمرة عن هذه الأشياء. لا تسمح لخيالك أن يحلّق بعيدًا كما يحلو له. فما يسميه الناس " **تحليق الفكر** " هو عادة رفرفة لا هدف لها في عالم الأوهام والخداعات. فحالما تصير أفكارك غير مشغولة بعمل الصلاة، عندئذٍ حولها ثانية إلى الصلاة.

ويلزمك أن تلاحظ أن خيالك وفكرك كليهما هم تحت طاعتك كطاعة الكلب المُدرب جيدًا. فأنت لا تدعه يجري وأن ينبح ويفتش في أواني القمامة، ولا أن يتمرغ في الحمأة، وبالمثل أيضًا ينبغي أن تكون لك القدرة دائمًا أن تسترجع أفكارك وخيالك، وينبغي أن تفعل هذا مرات كثيرة بلا عدد في كل دقيقة تمر. فإذا لم تفعل هكذا، فإنك – **كقول القديس أنطونيوس** – تكون مثل فرس يقوده راكب الآن، ويقوده راكب آخر بعد حين، وهكذا، بسبب الإنهاك والضرب بقسوة، فإنه ينهار.

وإن كنت تضرب غلاف جوزة الهند، بعنف فإنك تسحق الجوزة نفسها أيضًا، لذلك اضرب بحذر، فلا تنتقل فجأة إلى صلاة يسوع. بل ابدأها بتريث، وحتى بعد أن تبتدئ بممارستها، استعمل أيضًا طرق ممارسة الصلاة الأخرى. فلا تكن متلهفًا أكثر من اللازم، لا تظن أنه يمكنك أن تركز انتباهك تمامًا في عبارة "يا رب ارحم"، فصلاتك مُعرّضة للإنقسام والتشتت، وهذا أمر طبيعي لأنك إنسان. ففي السماء فقط " ينظر الملائكة كل حين وجه أبي الذي في السموات " (مت ١٨:١٠)، أما أنت فعلى العكس، لك جسد أرضي برغباتك اللوحة. فلا تصرخ باندهاش إلى علو السماء إذا حدث في بداية ممارستك لصلاة يسوع، أنك نسيت تمامًا أن تتممها لمدة ساعات كثيرة مرة واحدة، وربما تنساها طوال اليوم بأكمله أو أكثر. فاعتبر هذا أمرًا طبيعيًا وبسيطًا: فأنتَ كبحار غير متمرن فقد انشغل بزيادة بأمور أخرى لدرجة أنه نسي أن يلاحظ حركة الرياح. وهكذا لا تتوقع شيئًا من ذلك، ولكن لا تطلب شيئًا من الآخرين أيضًا.

التركيز في الصلاة شيء، أما التشتت فشيء آخر.

الصلاة ستجعل فكرك حيًا وصافيًا، وهكذا يكون الفكر صحيحًا، فالشخص المصلي يرى كل شيء حوله، ويلاحظ ويراقب كل شيء، أما الرؤيا والملاحظة بطريقة صحيحة فتأتي بالصلاة، التي تلقى بنورها النفّاذ الصافي على كل الأشياء.

الروح يعمل في مملكة النقاوة في داخلنا، وطالما نحن نظل نعمل على امتداد مملكة القلب المتجرد المستقل هذه، فإنّ أنساننا الروحاني يستمر في النمو.

الصلاة تُحدث هدوءً داخليًا، واسترخاءً وسلامًا في الحزن؛ ومحبة، وشكرًا واتضاعًا.

وبالعكس، فإن كنت متوترًا ومُثارًا في روح معنوية عالية أو في يأس عميق، إن كنت تشعر بندم أو مرارة أو رغبة شديدة في العمل، وإن ألقيت بنفسك في بحر اختبارات صوفية، أو في سكر الحواس، مثلما يحدث حينما تجد متعة زائدة، باستماعك للموسيقى، إن كنت تشعر بتمتع فائق أو إشباع كامل حتى أنك تكون **"مكتفيًا بذاتك بالعالم"**، فإنك تكون سائرًا في الطريق الخطأ. لقد بينت كل شيء على ذاتك أكثر من اللازم. تعال إلى خلوتك وارجع مرة أخرى إلي معاتبة النفس، وهو ما ينبغي أن يكون دائمًا هو نقطة البداية لكل صلاة حقيقية.

إن ملاك النور يحضر معه السلام دائمًا، هذا السلام الذي تسعى شياطين الظلمة أن تعكره بكل الطرق. ويقول الآباء القديسون إنه بهذا السلام، يمكن للواحد منا أن يعرف قوات الشر التي يصحبها الاضطراب وهكذا يميز بين ما هو صالح ومن اللّه بين ما هو رديء ومن الشيطان.

# أهميّة العمل وهدفه ـ مقرونة بحياة وأقوال النسّاك والآباء

إعتمدنا في هذه المقالة على المرجع الآتي:

Γεωργίου Ι. Μαντζαρίδη. Ορθόδοξη Θεολογία Και Κοινωνική ζωή. Θεο /νίκη 1996. P. 131-144

العمل له أهميّة قصوى في حياة الإنسان على المستويين الشخصي والإجتماعي، إذ يقضي الإنسان فيه وقتاً كبيراً جداً من عمره ، ولذا فإنّ تقييم هذا الوقت وإنفاقه فيما يعود بالنفع يجب أن يشغل إهتمام كلّ شخص ، والمسيحيّ بصفة خاصّة.

## العمل من وجهة نظر العالم الوثني:

لم يكن للعالم الوثني بصفة عامّة نظرة إيجابيّة للعمل. وترادف كلمة عمل εργασία (إرچاسيّا) في اليونانيّة القديمة كلمة **ألَم** πόνος (پونوس). وتعكس **الإجبار والمعاناة** ، ولهذا كان العمل مناسباً للعبيد، وليس للمواطن الحرّ. وهناك إرتباط مباشر بين كلمة **عمل** δουλειά (ذوليا) وكلمة **عبوديّة أو إذلال** δουλεία (ذوليّا) في الكلمات والمعنى. فالعمل δουλειά (ذوليا) يناسب العبيد الأذلاء δούλοι (ذوولي) كما أن العبوديّة تنسحب بصفة أساسيّة على العمل.

وفي العالم الرومانيّ نجد أنّ العمل كان يُفهم بصورة مشابهة لما قلناه. فباستثناء العمل الزراعي والفنون الحربيّة ، والتي كان لها قيمة حيويّة بالنسبة للرومان ، فإنّ كلّ الأعمال اليدويّة كانت تُعتبر أعمال للعبيد. أما المهن التي لم تكن تهدف إلى اكتساب الأموال ، فكانت تناسب الأحرار. كما أنّ الأطباء والمعماريّين والمُدَرّسين الذين كانوا يحصلون على مكافأة ، وليسَ على مُرَتَّب ، كانوا محلّ تقدير.

## العمل في العهد القديم:

على عكس ما سَبَقَ وقلناه فإنّ النظرة للعمل في العهد القديم كانت إيجابيّة ، فاللّه نفسه هو خالق العالم ، كما تنادي إحدى الوصايا العشر بالعمل، وتخصّص يوم واحد للراحة. وبصفة مستمرّة في العهد القديم يُمْدَح العمل ويُنتَقد الكسَل.«الكسلان لا يحرث بسبب الشتاء فيستعطي في الحصاد ولا يُعطَى» (أمثال ٢٠:٤). «شهوةُ الكسلان تقتله لأنّ يديه تأبيان الشغل» (أمثال٢١:٢٥). وأيضاً بالعمل يتشبّه الإنسان باللّه ، بل ويشاركه في عمل الخَلْق.

ظَهَرَ العمل المضني أو الشّاق حينما ابتعد الإنسان عن اللّه ، وبعد السقوط صارَ العمل بتعب ومشقّة من أجل الحصول على إحتياجات المعيشة بعد أن كان غير مُضنيّ. «وأخذ الربّ الإله آدم ووضعه في جنّة عدن ليعملها ويحفظها» (تك ٢:١٥). وأيضاً «بعرق وجهكَ تأكل خُبزاً حتى تعود إلى الأرض التي أُخذتَ منها لأنّك تراب وإلى التراب تعود» (تكوين ٣:١٩).

## العمل في العهد الجديد وعند الآباء:

يستمرّ الحثّ على العمل في العهد الجديد، فالعمل هو رسالة محبّة من اللّه لنا ، فيوضَع في البشائر المقدّسة من ضمن منظومة إهتمام اللّه بالإنسان ومحبّته له ، ويُعَبّر عن هذا باستمراريّة العمل « .. أبي يعمل

بنو آدم كأبيهم يعملون في الأرض - يا ليتنا نعمل في تنقيّة أرض نفوسنا من أشواكها.

حتى الآن وأنا أعمل» (يو٥:١٧). **السيّد المسيح** نفسه كان يعمل نجّاراً (مرقس ٦:٣) ، وبولس الرسول يقولها بصراحة للذين لا يُريدون العمل من أهل تسالونيكي: « .. إن كان أحد لا يُريد أن يشتغل فلا يأكل أيضاً» (٢ تس ٣:١٠). وكان بولس صانع خيام ، ولم يعمل بيديه من أجل احتياجاته الخاصّة فقط ، بل من أجل حاجات الذين معه أيضاً. «أنتم تعلمون أنّ حاجاتي وحاجات الذين معي خدمتها هاتان اليدان» (أعمال ٢٠:٣٤) . وليس العمل والتعب عنده هما من أجل حاجة العامل فقط ، بل لخدمة إحتياجات الضعفاء. «لا يسرق السارق في ما بعد بل بالحريّ يتعب عاملاً الصّالح بيديه ليكون له أن يعطي مَن له احتياج» (أفسس ٤:٢٨).

﴿وقد ورد في كتاب بستان الرهبّان ما يلي: زارَ مرّة أحد الأخوة الأب سلوانس في جبل سيناء ، فلما رأى الأخوة منكبّين على العمل قال للشيخ: «لا تعملوا للطعام البائد أيها الأب ، لأنّ مريم ـ أخت لعازر ـ إختارت النصيب الصالح» ، فقال الشيخ لتلميذه: "أعطِ الأخ إنجيلاً وادخله في قلايّة فارغة" ففعل.

فلما حانت ساعة الأكل بقي الأخ منتظراً على الباب مترقباً وصول مَن يسأله المجيء إلى المائدة. فلما لم يدعه أحد ، نَهَضَ وجاء إلى الشيخ وقالَ له: "أما أَكَلَ الأخوة يا أبانا ؟"

أجابه: نعم.

فقال له: ولماذا لم تَدعُني للأكل معهم؟.

فأجابه الشيخ: "ذلك لأنّك روحاني ، لستَ في حاجة إلى طعام ، وأمّا نحنُ فجسديّون نحتاج إلى طعام ، ولذلك نمارس الأعمال. أما أنتَ فقد اخترتَ النصيب الصالح: تقرأ النهار كلّه ولا تحتاج إلى أن تأكل طعاماً".

فلما سمع الأخ هذا الكلام خرّ ساجداً وقال: "إغفر لي يا أبانا".

فأجابه الشيخ:

"لا شكّ أنّ مريم تحتاج إلى مرثا. لأنّ مريم بمرثا قد مُدِحَت ﴾.

وتسبّب **البطالة شروراً كثيرة**. «.. ومع ذلك أيضاً يتعلّمنَ أن يكُنَّ بطّالات يَطفنَ في البيوت ولسنَ بطّالات فقط بل مهذارات أيضاً وفضوليّاتٌ يتكلمنَ بما لا يجب» (١ تي ٥:١٣). وهي معلّم للشر وللمكر كما أنّها حالة غير طبيعيّة، وتقود الإنسان إلى تدمير ذاته على المستوى الأجتماعي، وبالأكثر على المستوى الروحيّ. نفس هذه الروح التعليميّة نراها في عصر الآباء الرسوليين.

وقد جاء في الديداخي (١٢:٢-٤): إذا كان هناك عابراً فإنّه يجب مساعدته بحسب الطاقة (بعد فحصه ومعرفته) طالما أنّ له احتياج أن يمكث يومين أو ثلاثة. إذا كان يريد أن يُقيم فترة بجانبكم، ويعرف حرفة ما ليعمل ويأكل. أما إذا كان لا يعرف حـرفَة فاهتمّوا بحسب حُـكمكم، حتى لا يَعيش بينكم **مسيحي عاطل**.

الإنسان لا يوجد من **أجل العمل**، ولكن العمل من **أجل الإنسان**.

كما يقول **القدّيس أثناسيوس رئيس أساقفة الإسكندريّة**: ﴿لأنّ آدم خُلقَ لا لكي يعمل، بل لكي يوجد أولاً كأنسان، لأنّه بعد ذلك تلقى أمراً أن يعمل﴾. وهذا يعني أن للعمل دور أساسي في حياة الإنسان، دون أن يكون هو هدف وجوده، كما أنّه ضروريّ للإنسان مثل الأكل اليوميّ. العمل أيضاً هو جزء في برنامج حياة الراهب اليوميّة.

فإنّه حضَرَ إلى الأب لوقيوس رهبان من أولئك الذين يدعون "**مصلّين**" فسألهم عن عمل أيديهم.

فقالوا له: نحنُ لا نهتمّ بعمل اليدين، إنما نهتم بالصلاة الدائمة كما يقول الرسول.

فقال لهم الشيخ: أما تأكلون وتنامون ؟

قالوا: نعم.

فقال لهم: فإذ ما جلستم تأكلون أو إذا نمتم فمن يُصلّي عنكم ؟ فلم يكن لهم ما يجيبونه به.

فقال لهم: إغفروا لي فإنّ عملكم ليس كقولكم، لكنّي أريكم كيف أنّي أُمارس عمل يديّ وأصلّي دائماً. وذلك بأن أجلس بعون اللّه وأبلّ خوصاً وأضفر الضفيرة قائلاً: "إرحمني يا اللّه كعظيم رحمتك وككثرة رأفاتك أمحُ إثمي"، أفما يعتبر ذلك صلاة؟.

أجابوه: نعم.

قال لهم: وإذا مكثتُ هكذا طول النهار

« إن كان أحد لا يُريد أن يشتغل فلا يأكل أيضاً » (٢ تس ٣:١٠)

أعمل وأصلّي فيكون لي عن عمل كل يوم ستة عشرة فلساً. فأُعطي منها على الباب فلسين وآكل بالباقي فيصبح آخذَ الفلسين مُصلّياً عنّي في وقت أكلي وفي وقت نومي، وبنعمة اللّه تكمل لي الصلاة الدائمة كأمر الرسول. والطريق التي سلّمها لنا جماعة الرهبان هي هذه: «أنّه يلزمنا أن نشتغل بأيدينا ونصوم طول النهار، ونقتني صمت اللسان، ونبكي على خطايانا».

لا يهدف العمل إلى جمع الثروة، بل إلى ممارسة المحبّة، فمن خلال العمل نستطيع أن نكمّل وصيّة المحبّة نحو القريب، وبهذا يدخل العمل ضمن إطار الحياة المسيحيّة نفسها حسب الوصايا. فلا يوجد تعارض هنا بين العمل لكي نوفي إحتياجاتنا، وبين أن نقوم بتقديم المساعدة للآخر من نتاج عملنا، فيجب ألاّ تتصادم ذواتنا مع الآخر، بمعنى إما أنا وإما الآخر. من ناحية أخرى فإنّ الوصيّة هي أنّ «لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيثُ يفسد السوس والصدأ وحيثُ ينقب السارقون ويسرقون. بل اكنزوا لكم كنوزاً في السماء حيثُ لا يفسد سوسٌ ولا صدأ وحيثُ لا ينقب سارقون ولا يسرقون». وهذا الكنز الذي نكتنزه في السماء يتمّ إعداده على الأرض، وليس في السماء كما أنّ العمل (إرچاسيّا) من أجل هذا الهدف لا ينفصل عن العمل اليومي الحرَفي أو المهني.

الإنسان مدعو أن يحبّ قريبه «**كنفسه**» لكن لا يستطيع أحد أن يحبّ قريبه إن لم يحبّ نفسه أولاً. ولكن على الإنسان أن يحبّ نفسه بصورة صحيحة. لكي يحبّ قريبه أيضاً كذلك. ومن الوجهة الأخرى فإنّ مَن يحبّ قريبه حقيقة، يحبّ بالحقيقة نفسه أيضاً، أو بمعنى آخر إنّ محبّة النفس الحقيقيّة تتم من خلال محبّة الآخر، وحينما يجد الإنسان مصلحته في مصلحة القريب، حينئذ يكون قد وجَدَ مصلحته الحقيقيّة.

هنا نفهم أيضاً قول بولس الرسول: «لا يطلب أحدٌ ما هو لنفسه، بل كل واحد ما هو للآخر» (١كو ١٠:٢٤).

كما يرتبط موضوع العمل أيضاً بحقوق الفقراء والضعفاء، وواجب المجتمع نحوهم. هنا يقع عبء كبير على القائمين على النظام الإجتماعي والسياسي أو الحكومات عامّة في حماية الفقراء والضعفاء، وحُسن توزيع الدخل بصورة تُحقّق العدالة الإجتماعيّة. **والقديس باسيليوس الكبير** يتكلّم عن اللصوص والسارقين فيقول: "إنّهم ليسوا فقط مَن يسرقون أموالاً، ولكن هؤلاء الذين يشغلون وظائف حكوميّة أو عسكريّة أو دينيّه أو عامّة أيضاً ويسيئون استخدام السلطة، سواء في العلن أو في الخفاء هم أيضاً من اللصوص" (PG 30 212A).

فالآباء أدانوا حالات الظلم الإجتماعيّ بشجاعة وفي الوقت نفسه صبروا هم أنفسهم بشجاعة على الظلم الذي كان يقع عليهم، ولذلك هزموا الموت ولا يزالون أحياء

إنّ محبّة القريب ليست قليلة الأهميّة، فقد ربطها الربّ نفسه بمحبّته هو، كما أنّ معيار حياة الإنسان أو موته هو محبّته لأخيه فمن لا يحبّ أخاه يبقى في الموت.

المحبّة تصل في مداها الممتد إلى إيثار الآخر على النفس، أي أن نضحي من أجل القريب، على مثال محبّة المسيح ومحبّة القديسين. هذه المحبّة المضحية تجعل القريب هدفاً للعمل.

يمكن أن نختم بحثنا بالقول إنّ الهدف الذي يجب أن يوجِّه حياة المؤمنين الشخصيّة والإجتماعيّة، والذي يجب أن يوجّه العمل وكل نشاط المؤمنين، هو المحبّة وعدم الأنانيّة. فنحنُ في إحتياج أكيد **لتحقيق** هذا الهدف في **عالمنا المعاصر**. ■

# تفسير القدّاس الإلهي

الأب المتوحّد غريغوريوس (الجبل المقدّس - جبل آثوس)
تعريب الشمّاس سلوان موسي - دير سيّدة البلمند البطريركيّ

تتمة من العدد السابق

## رفض مناولة الأسرار المقدسّة للذين هم خارج الأيمان المستقيم حسب التقليد الرسولي وآباء الكنيسة العظام

باسيليوس الكبير — يوحنا الذهبيّ الفم — غريغوريوس اللاهوتي

### * إتّحاد الأيمان

إتّحاد الأيمان شرط لنغدو مقبولين في وحدة سرّ الشكر. لذا قبل أن نتقدّم نحو كأس الخلاص، نسأل اللّه أن يمنحنا وحدة الأيمان. الأيمان الواحد يعطينا إمكانيّة أن نتناول «**خبز الحياة الواحد**». «تقدّموا، يا إخوتي، كما يكتب المتوشّح باللّه إغناتيوس إلى أهل أفسس ، بإيمان واحد وبالمسيح يسوع ...كاسرين خبزاً واحداً ، الذي هو دواء عدم الفساد».

هذا الأيمان الواحد المقدّس الرسوليّ قد تسلّمته الكنيسة وها هي «تحفظه بعناية ... تؤمن به باتّفاق واحد ، لأنّ لها نفساً واحدة وقلباً واحداً. ووفق هذا الأيمان تكرز وتعلّم وتسلّم أبناءها ، كما لو كان لها فم واحد. لأنّه ، ولو أنّ اللغات المستعملة ليست نفسها في كلّ العالم ، إلاّ أنّ قوّة التقليد هي نفسها وواحدة في كلّ مكان ... كما الشمس ، وهي خليقة اللّه ، هي نفسها واحد في كلّ العالم . كذلك كرازة الحقيقة تتلألأ في كلّ مكان وتنير البشر الذين يرغبون أن يتقدّموا إلى معرفة أعمق للحقيقة» (القديس إيريناوس).

الكنيسة جسد واحد ، جسد المسيح. الكنيسة نفسٌ واحدة ، قلبٌ واحد ، فمٌ واحد. ونحنُ نطلب إلى اللّه أن يحفظنا في هذا الإتحاد الكياني. «فهذا هو إتّحاد الأيمان ، أن نكون كلّنا واحداً وأن تكون لدينا المعرفة نفسها به والمقاربة نفسها له» (القديس يوحنا الذهبيّ الفم).

في الكنيسة كلّ شيء مشترك : **الأيمان ، الرجاء ، المحبّة**. الكنيسة المقدّسة ، كما يقول القدّيس مكسيموس ، «هي رمز للّه وصورة له. هي على مثاله تجمع المؤمنين إلى إتّحاد واحد وفقاً للنعمة الواحدة ودعوة المؤمنين الواحدة». هذا هو الرابط الذي ولدته المعموديّة المقدّسة وقدّسه سرّ الميرون المقدّس وتغذّيه المناولة الإلهيّة وتنمّيه. لذا ، فجلساء العشاء السرّي هم فقط أولئك الذين يقرّون ويعترفون «بنعمة الأيمان الواحد» ، أي أولئك الذين ينتمون إلى إتّحاد إيمان الكنيسة. لذلك تمنع كنيستنا عن غير المعمّدين غذاء عدم الفساد ، فهي تُدرك أنّه: «**إن تناول أحد من غير المعمّدين ... فهو يتناول دينونته الأبديّة**» (الأواصر الرسوليّة).



هكذا هو مسلك كنيستنا مع أولئك الذين يستعدّون لاقتبال الأيمان الأورثوذكسيّ. وأمّا إزاء الذين أنكروا الأيمان أو أفسدوه ، فإنّها تُظهر حزماً أشدّ. فبالمناولة نحن نتناول مَن نؤمن أنّه «**مُساوٍ للآب في الجوهر**». نتناوله كما نؤمن به. فكيف يسوغ لنا أن نتناول المسيح مع أُناس يؤمنون به على نحوٍ مغاير؟ أَوَ لا نكون عندها مجرمين إلى **جسد الربّ ودمه** ؟.

لا تُعطَى المناولة الألهيّة ، كما يشدّد **القدّيس كيرلّس رئيس أساقفة الأسكندريّة** ، **لغير المعمّدين أو لغير الأرثوذكسيين**. «لا يجوز أن يتقدّم إلى المناولة الإلهيّة آخرون. فليُعتبَر آخر مَن لَم يَزَل غير مؤمن وغير مُعمّد ، كما وكلّ مَن لا يُوافق أيّاً من القدّيسين وانْفَسَدَ ذهنه بعقيدة أخرى».

ترفض كنيستنا المقدّسة قبول الهراطقة في المناولة ، كما وترفض «**شَرِكَتهم**».

مَن يعيش خارج كنف الكنيسة يشعر في هذا الموقف بعض القساوة. أمّا مَن يعيش في كنف إتّحاد الأيمان فليلمس محبّة الكنيسة للبشر ورأفتها بهم. يسمع قلبها الوالديّ ينبض بألمٍ نحو كلّ إنسان ويشاهدها تضطرم حُبّاً بكلّ البَشر على حدٍّ سواء ، لغير المؤمنين كما للموعوظين ، للبعيدين وللقريبين بآنٍ معاً.

يقول **الكاهن** بصوت منخفض :أيّها السيّد المحبّ البَشر . لك نودع حياتنا ورجاءنا. ونطلب ونتضرّع ونسأل. فاجعلنا أهلاً لتناول أسرارك السماويّة الرهيبة. أسرار هذه المائدة الطاهرة الروحانيّة ، بضمائر نقيّة ، لصفح الخطايا ، وغفران الذنوب وشركة الروح القدس وميراث ملكوت السموات ، والدالة لديك ، لا لمحاكمة أو إدانة.

ويُعلن:
وأهّلنا أيّها السيّد أن نجسر بدالّة ، وندعوك أباً غير مُدانين أيّها الأله السماويّ.
ونقول:

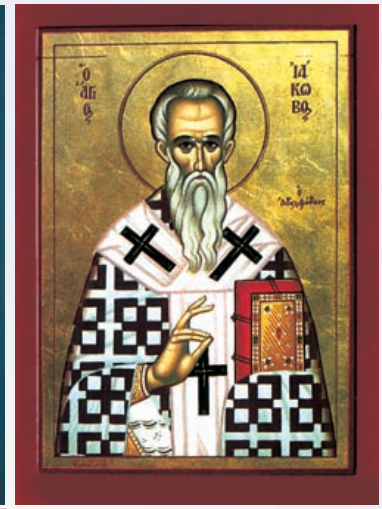

يعقوب أخو الرب
أوّل رؤساء أساقفة أورشليم

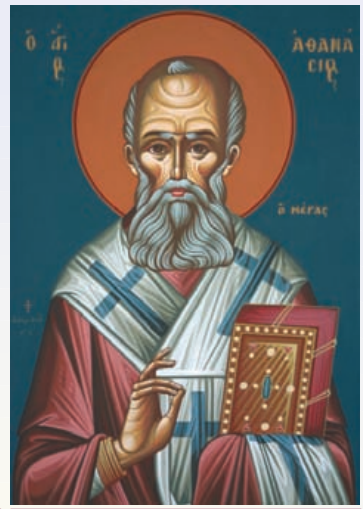

أثناسيوس الكبير
رئيس أساقفة الأسكندريّة

غريغوريوس النيصصي
أسقف مدينة نيصص

كيرللس الكبير
رئيس أساقفة الأسكندريّة

## * لشركة الروح القدس

يقول الكاهن: «فاجعلنا أهلاً لتناول أسرارك ... لشركة الروح القدس». شركة المسيح هي أيضاً شركة الروح القدس. ويقول القديس يوحنا الذهبيّ الفم: «المسيح الذي سَقاكَ كأس ذاته .. قد سَقاكَ الروح القدس».

وبالفعل ، ففي أوّل كهنوت للسرّ ، «إذ أخَذَ المسيح كأساً ومزج خمراً وماء ، نَظَرَ إلى السماء ، وقدّم للّه الآب وشكَرَ وقدّس ، ثمّ أعطى تلاميذه القدّيسين المغبوطين دمه المقدّس» (يعقوب أخي الربّ ، القدّاس الإلهيّ).

ينتصب الكاهن ، كما يقول القديس يوحنا الذهبيّ الفم ، في عشاء الكنيسة في مكان المسيح، «رافعاً يديه إلى السماء ، مُستدعياً الروح القدس ليأتي ويمنح نعمته للقرابين الموضوعة». «وينحدر الروح القدس على الدوام بتلك التسابيح» . و «يغدو الخبز خبزاً سماوياً بنور الروح القدس». تغدو مائدة الأسرار الرهيبة مائدة «شريفة روحيّة». أمّا المتناولون منه «فيصبحون مسكناً للروح».

ويقول القديس باسيليوس الكبير إنّ الروح الكليّ قدسه «يحيي كلّ شيء ... في السماء قائم ، وعلى الأرض مالىء الكلّ وحاضر في كلّ مكان وغير مُحتَوَى من شيء. ويُقيم في كلّ واحد ،وهو كلّه مع اللّه. لا يخدم المواهب كأنّه مُرسَل أو خادم ، بل هو يوزّعها كسيّد».

بالقدّاس الإلهيه نقتبل مواهب الروح القدس ، ونقتبل المعزّي نفسه في إجتماعنا الليتورجي وفي نفوسنا.

## * قد منحنا ثقة بالدخول إلى الأقداس

المسيح هو رئيس الكهنة العظيم الذي «يضع» الأنسان «أمام» الآب السماويّ. فهو يقدّم الأنسان عندما يقدّم **نفسه الكليّة الطهارة**. ويكتب **القدّيس كيرلّس بطريرك الأسكندريّة** ، أنّه بالمسيح «باتَ لنا مدخل». ويُضيف: «قد جدّد لنا المسيح الطريق إلى الوجود ، قد دخل إلى قدس الأقداس وأظهَرَ لنا طريق الحياة الحقّة».

لقد دشَّنَ المسيح بحياته طريق «الحياة». وباتَ بأمكان الإنسان الآن أن يعود من جديد إلى بلد «الحياة» الحقّة. بإمكانه أن يكون ، كما الجدّ الأوّل ، مملوء دالّـة ، ينهل منها وجهاً لوجه أمام الحضور الإلهيّ.

وبدم المسيح مُنحَت رحمة اللّه إلى الإنسان الملعون ، وانفتح الطريق المؤدّي إلى الآب: «نشكرك أيّها الربّ إلهنا ، لأنّك منحتنا ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع ، طريقاً كرّسه لنا حديثاً حيّاً بالحجاب أي جسده». (يعقوب أخي الرب ، القدّاس الإلهيّ). «لنا بدم يسوع ثقة للدخول إلى الأقداس» (عبرانيين ١٠:١٩). نتجرأ على الدخول إلى قدس الأقداس ، نخّـر أمـام لجّـة رأفاته ، ونقول أبانا الذي في السموات ...

ويندهش القديس غريغوريوس النيصصي **للكرامة التي أُعطيَت للإنسان أن يدعو اللّه أباً** . ويقول: « أيّة نفس عظيمة يحتاج ذاك الذي يدعو اللّه أباً ! كم يحتاج من الدّالة ! أيّ نوع من الضمير ينبغي أن يتحلّى به ، بحيثُ ، بعد أن يكون قد أدرَك مَن هو اللّه ، على حسب وسع الإنسان و يتجرّأ ويدعوه أباه ! »

هذه الكرامة السامية أُعطيَت للأنسان **بدم يسوع** ، لذا يتضرّع المؤمنون ، بينما تحين ساعة شركة **دم المسيح الطاهر**: «**أهّلنا أيّها السيّد المحبّ البشر ، بدّالة ، بلا مُداينة ، بقلب طاهر ، بنفس مستنيرة ، بوجه لا يخزى ، بشفاه متقدّسة ، أن نتجرأ وندعوك أباً ، أنتَ أيّها الأله القدّوس الذي في السموات ، ونقول**: أبانا الذي ... (يعقوب أخو الربّ ، القدّاس الألهيّ).

**الشعب** : أبانا الذي في السموات ، ليتقدّس إسمك ، ليأت ملكوتك ، لتكن مشيئتك ، كما في السماء كذلك على الأرض ، خبزنا الجوهريّ أعطنا اليوم ، واترك لنا ما علينا ، كما نترك لمن لنا عليه ، ولا تدخلنا في تجربة ، لكن نجّنا من الشرير.

**الكاهن**: لأنّ لك المُلك والقوّة والمجد أيها الآب والإبن والروح اقدس ، الآن وكلّ أوان وإلى دهر الداهرين.

**الشعب** : آمين.

**يتبع في العدد القادم**

# المسيح هو كلّ شيء

## في حديث مُسجّل مع الشيخ پرفيريوس

**أنا هو نور العالم، من يتبعني فلا يمشي في الظلام بل يكون له نور الحياة. (يو ٨: ١٢)**

كُنْ في أعمالك وأفكارك كلّها مع المسيح أذكُر أغنية (ترنيمة) واحدة : « **مع المسيح دومًا لا أخاف أبدًا** » .

هل سمعتها ؟ الأولاد يردّدونها كثيرًا .

إذًا هكذا بالحق يجب أن نرى المسيح . هو صديقنا ، أخونا . هو **كل شيء حسنٌ وجميل . هو كل شيء . هو صديق يصرخ لنا** : « أنتم أصدقائي اتفهمون ذلك ؟ اننا إخوة . أنا احبّكم . اريدكم ان تفرحوا معي في حياتكم » . أفهمتم ذلك ؟

هكذا يكون المسيح. **ليس هو حزنًا ، أسًى ، ولا إنكماشًا على النفس** مما يفكر به الانسان أو يعاني منه من جراء أفكار مختلفة وضغوط عديدة تجرحه خلال حياته من حين إلى آخر .

المسيح حياة جديدة . كيف أشرح ذلك ؟ **المسيح هو كل شيء ، هو الفرح ، الحياة ، النور ، نور الحق الذي يجعل الانسان يفرح ، يحلّق يرى كل شيء ، يرى الجميع ، يتألم عن الجميع ، يريد الكل معه والجميع إلى جانب المسيح** .

نحن عندما نجد كنزًا ما أو أي شيء آخر لا نريد أن نخبر عنه أحدًا. لكن المسيحيّ عند رؤيته المسيح ، عند معرفته إياه ، عندما يلتصق به يرومه يرغب أن يعلو بصوته ويحدّث الجميع عنه : « **أحبوا المسيح ولا تفضلوا أي شيء آخر على محبته** » . من هو المسيح ؟ المسيح هو كل شيء ، هو ينبوع الحياة ، هو رأس القمم ، هو كل شيء . الأمور مع المسيح تكون حسنة كلها .

بعيدًا عن المسيح يأتي **الحزن ، القلق ، العصبية ، الضيق ، تذكر جروحات الحياة ، الضغوطات والاتعاب** . كلها تبدو ظاهرة كلها نحياها في حياتنا . نأتي إلى هنا وإلى هناك دون أن نثبت على شيء .

عندما نجد المسيح ولو كنا داخل مغارة نمكث هناك ونخاف الأبتعاد لئلا نخسر المسيح .

فتشوا تروا أن النساك الذين عرفوا المسيح لا يرغبون مغادرة المغارة ولا الخروج إلى أبعد منها . بل يريدون البقاء فيها لأنهم يشعرون ان هناك المسيح معهم .

المسيح هو ينبوع الحياة والفرح ، كل شيء . أنت يا نيقولا كيف ترى ذلك ؟

ـ **شخص ما :** يا أبانا الشيخ ما سبق وقلته هو أقوال ذهبية . هو الواقع . كما تقول أنتَ . هكذا هي .

ـ **الشيخ :** نعم هكذا نحن مدعوون أن نعيش . عندما نقول أننا مسيحيون . عندما نقول أننا للمسيح . وفي أوقات ضعفنا ، ما أن نرى المسيح حتى نبدّل رأينا فورًا ونرغب بالبقاء معه . لكن المسيح هو صديقنا هو أخونا . يصرخ ويقول لنا : « **أنتم أصدقائي** » . لا أريد أن تنظروا إليّ بطريقة أخرى . أريد أن تروني هكذا : « **أنا اللّه ، أنا كلمة اللّه أنا اقنوم واحد من الثالوث الاقدس . أريد ان تعتبروني خاصتكم ، صديقكم ، أريد أن تعانقوني ، أن تشعروا في أعماقكم أني صديقكم أنا ينبوع الحياة في الحقيقة** .

هذه هي الحقيقة . قلنا الآن أن الشيطان موجودٌ . **هناك جهنم أيضًا وهناك موت** . كل هذه موجودة وموجودة بالفعل . هذا هو الجانب الآخر ، **جانب الشر والظلمة** .

ينبغي على رجل اللّه أن يحب المسيح وعندما يحبّه ينعتق من الشيطان من الجحيم ومن الموت .

ـ **شخص ما :** ربما قلتَ لي هل أنتَ وصلتَ إلى مثل هذه الحالة ؟

ـ **الشيخ :** كلاّ أنا لم أصل بعد . لكني أطلبها أريدها . في صمتي وأينما وجدت أحاول أن أعيشها . أنا لا أعيشها . لكني أحاول . كيف أشرح لك . ماذا أقول ؟ لم أذهب إلى هناك . . . . **أو بالأحرى ذهبتُ مرّة ورأيتها** . الآن لستُ هناك لكني أتذكره ، أشتهيه . نعم في هذه اللحظة ، غدًا وبعد غد في كل لحظة يأتي إليّ وأريده . أريد أن أذهب إليه . أطلبه في كل حين . لا أستطيع ان أفسّر أكثر. أتفهم ذلك ؟

* * *

ـ **الشيخ :** . . . إنّه في كل مكان . الآن فسّروا أنتم ذلك . أنا لا أستطيع أن أفسّره فقط أقول لكم عندما تفكرون مثلاً **بالقديس انطونيوس** . ربما تعتقدون أنه هنا ، آخرون يفتكرونه في طيبا ، آخرون في مصر ، آخرون في اورشليم وآخرون في سيناء. في هذه الساعة هو هنا وهناك . . . ماذا تقولون عن ذلك ؟

ـ **أحد الأشخاص :** هو في كل مكان لأنه وسط النعمة الالهية .

ـ **الشيخ :** نعم إنه في العالم ، العالم الروحي . وبالرغم من كوننا مسيحيين ، لا نعرف شيئًا البتة . لا نعرف شيئًا عن المسيح .

ـ **أحد الأشخاص :** هذا هو الواقع .

ـ **الشيخ :** ونحيا نحن المساكين ونقرأ كلامًا جميلاً قاله الأب الفلاني ماذا يُسمّى ؟ فلانًا . نعم جميلاً وجميلاً جدًا . **إنما نحن نبقى في جهلنا في تشتتنا ونحيا بدون المسيح** .

المسيح هو شيء آخر . عندما يأتي المسيح إلى الانسان ، عندما يأتي إلى نفسنا ، عندما يقترب المسيح من الانسان ، عندما يدخل في النفس ، تصبح النفس مختلفة . يحيا في كل مكان ، يحيا في الكواكب، وفي العالم يحيا روحيًا ، يحيا في الفراغ ، يحيا في الكون ، يحيا . . . نتحدث معه هاتفيًا إلى جنوب افريقيا ، الى المحيط الهندي . يتحدث معهم ، عن أحوال بيتهم ، عن اولادهم ، يسألهم عن عائلتهم وهو في الوقت نفسه هنا . أفهمتم ذلك ؟

أنتم تعتقدون ، وأقولها ببساطة لكم ، إنني في آخر المطاف شيءٌ. أنا لست بشيء . إنما أحاول . ومما أقوله لكم قليلاً وكأني أذوقه قليلاً جدًا . وأحاول وأريده وأحبّ ؛ أريد أن أغصب نفسي . لكن مرّات كثيرة أحيا كل ذلك بنعمة اللّه دون أن أتكلم . هل تسمحون لي بذلك . تسمحون به لكني لا أستطيع أن أتكلم دائمًا بذلك . **إذًا الحياة بدون المسيح ليست بحياة** . إنتهى كل شيء **إن لم تفهموا ذلك** .

ـ **الشيخ يستمر :** الآن أنا أتكلم ولست في حالتي الطبيعية . أنا أجْدَب حقًا لأني اتكلم بذلك .

ـ **أحد الأشخاص :** أيها الأب الشيخ إن ٩٠٪ منّا ليسوا مسيحيين او يبقون فقط في التعجّب . نكرّر أقوال الآباء مثل البار افرام السرياني او البار اسحق السرياني وأيضًا يوحنا السلّمي . إننا نبقى في العجب . وأخطر من ذلك **لا نعمل شيئًا لا نحاول . . . لذلك يأكلنا القلق ، يأكلنا الاضطراب والحزن** .

ـ **الشيخ :** نعم كما تقول هذه هي حالنا . كيف أكون هناك بينما أنا هنا ؟ الأمر هو أنه إلى أن يأتي المسيح ليعيش فينا ، عندئذ نكون في كل مكان مع المسيح . علّتنا أن المسيح ليس معنا .

ـ **الشخص نفسه :** نعم

ـ **الشيخ :** نعم لكني أعيش ضمن هذه المحاولة . قولوا عني « **أجْدَب** » .

ـ **الشخص نفسه :** هذه الكمات لا تُقال أيها الشيخ . لأن كل إمرء يحاول لا يتكلم عن نفسه بل يدعو النعمة الالهية لأعانته . نعم لكن سرعان ما ينتاب الانسان الجنون فيتكلم . هناك جنون ! يا رب ! نعم قلت لكم ذلك .

ـ **الشيخ :** لماذا تكتب كل ذلك ؟ كلّها هذيان .

ـ **الشخص :** ليست هذيانًا . إن كانت كذلك فما هو الصحيح ؟ هكذا أنا أفكّر إنها توصيات لنا .

ـ **الشيخ :** اتفكّر هكذا ؟ ـ **الشخص :** نعم . . .

ـ **الشيخ :** علينا إذًا أن نشعر بها ، أن نحياها لتصبح فعليّة وواقعًا : **المسيح هو الصديق .هو الأخ** . كيف أنادي بذلك ؟ وكم مرّة ؟ أي عمق يخفي وراء ذلك ؟ عمق كبير في الحقيقة . هذا يتطلّب جرأة . المسيح لا يريد الخوف .

الرسل كم كانوا بسطاء ! لم يقسى عليهم بل تركهم هكذا حتى النهاية مساكين ! لقد خافوا واختباؤا . . . ماذا كابدنا نحن ؟ نعم الروح القدس كمّلهم . النعمة كمّلتهم ألا توافق على ذلك ؟... ■

# الرموز التي وردت في العهد القديم عن السيّدة العذراء سلّم يعقوب (٣)

## ٣) سلّم يعقوب:

فدعا إسحق يعقوب (إبنه) وباركه وأوصاه وقال له: لا تأخذ زوجة من بنات كنعان. قُم إذهب إلى فدّان آرام إلى بيت بتوئيل أبي أمّك ، وخُذ لنفسك زوجة من هناك من بنات لابان أخي أمّك ... فخرج يعقوب من بئر سبع وذهب نحو حاران. وصادف مكاناً وبات هناك لأنّ الشمس كانت قد غابت. وأخذ من حجارة المكان ووضعه تحت رأسه فاضطجع في ذلك المكان. ورأى حُلماً وإذ سلّم منصوب على الأرض ورأسها يمسّ السماء وهوذا ملائكة اللّه صاعدة ونازلة عليها. وهوذا الربّ واقفٌ عليها. فقال أنا الربّ إله إبراهيم أبيك وإله إسحق. الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك ... فاستيقظ يعقوب وقال حقّاً أنّ الربّ في هذا المكان وأنا لم أعلم ما أرهب هذا المكان، ما هذا إلاّ بيت اللّه وهذا باب السماء (تكوين٢٨: ١٠-١٧) .

**سُلّم يعقوب : وقال حقاً أنّ الربّ في هذا المكان وأنا لم أعلم. ما أرهب هذا المكان، ما هذا إلاّ بيت الله وهذا باب السماء.**

ما هذا السلّم الذي يصل بين الأرض والسماء إلاّ مريم العذراء التي فتحت أمامنا أبواب السماء وجعلت مجيء السمائيين إلى أرضنا سهلاً ، وصعود الأرضيين إلى السماء ميسوراً. «وهوذا الربّ واقفٌ عليها (على السلّم) » ، ما هذا إلاّ رمز للتجسّد العظيم الذي حدث في بطن العذراء مريم.

**ويقول القديس أثناسيوس الإسكندري في تجسّد الكلمة:**

« لأنّه لم يفكّر في مجرّد التجسّد أو مجرّد الظهور ، وإلاّ فلو إنّه أراد مجرّد الظهور لاستطاع أن يتمّم ظهوره الإلهيّ بطريقة أخرى أسمى وأفضل. ولكنّه أخذ جسداً من جنسنا وليس ذلك وحسب بل من عذراء طاهرة بلا لوم لم تعرف رجلاً ، جسداً طاهراً وخالياً بالحقّ من زرع بشر ، لأنّه وهو قادر على كل شيء أعَدَّ الجسد في العذراء ليكون له هيكلاً وجبلة جيّدة بالذّات ، واتّخذه أداة يُعلن ذاته فيها ويحلّ فيها» .

**ويقول أيضاً:** « فمن هو إذن هذا الذي تتحدّث عنه هكذا الكُتب الإلهيّة ؟ أو من هو ذلك العظيم بهذا المقدار حتى يتنبأ عنه الأنبياء بهذه النبوّات العظيمة؟ لن يوجد أحد آخر في الكُتب إلاّ مخلّص الجميع ، كلمة اللّه ربّنا يسوع المسيح لأنّه هو الذي وُلِدَ من عذراء وظهر كإنسان على الأرض وهو الذي لا يخبر بحيلة حسب الجسد **لأنّه لن يوجد مَن يستطيع أن يُعَيّن له أباً حسب الجسد** إذ أنّ جسده لم يكن مِن رجل بل مِن عذراء فقط».

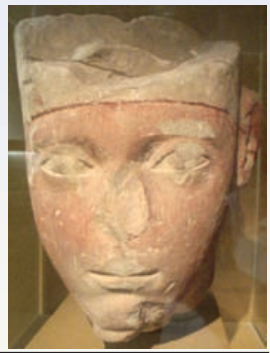
تحتمس الذي إحتلّ مجدّو

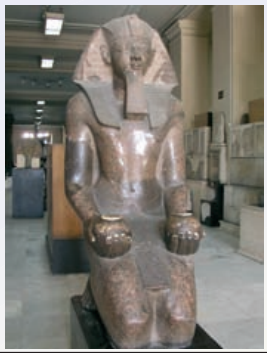
حتشبسوت ملكة مصر

أخناتون ١٣٨٣-١٣٦٦ ق.م.)

تتمة من العدد السابق

## حياة الآباء وخواص تلك الفترة

### الرأيّ الثاني ـ فرعون الإضطهاد تحتمس الثالث (١٤٩٠–١٤٣٦ ق.م):

يرى المتحمّسون لهذا الرأي أنّ تحتمس الثالث (الأسرة ١٨) هو فرعون الإضطهاد والذي يُعرَف بعدوّ الساميّين ، فهو صاحب قرار **قتل أطفال العبرانيين** ، ويكون الخروج حدَثَ في أثناء حُكم خليفته أمينوفيس الثاني (١٤١٣–١٤١٣ق.م.) ، فيكون هو فرعون الخروج وأصحاب هذا الرأي يعزّزون رأيهم بالبراهين التالية:

١ ـ إنّ بناء الهيكل حدث سنة ٩٦٠ ق.م. إذا أُضيف إليها مدّة ٤٨٠ سنة من خروج بني إسرائيل إلى بناء الهيكل وهو ما وردَ في (سفر الملوك الأوّل ٦:١) يكون بذلك تاريخ الخروج هو ١٤٤٠ ق.م. وهو يقع في نهاية حُكم تحتمس الثالث أو بداية حُكم أمينوفيس الثاني ، ويُفترض في ذلك تداخل أزمنة غزوات القضاة.

٢ ـ إرتقى تحتمس الثالث العرش أميراً صغيراً فحكمت حتشبسوت مشاركة له ويظنّ أنّها هي الملكة التي انتشلت موسى من الماء ، فيشير أحد ألقابها التي كانت تحملها في فترة حُكم تحتمس الثاني أنّها (إبنة فرعون) فتربّى موسى في القصر وقت أن حكمت حتشبسوت ، وحين أصبح تحتمس رجلاً يافعاً فأطلق يده في الحُكم ، ومن الواضح في آثاره أنّه جاهَد ألاّ تتفوّق عليه زوجة أبيه المتوفاة ، وإن كان قد خلا حكم حتشبسوت من أي مشروع حربي سوى غارة غير هامّة على النوبة ، وكذلك أرسلت أسطولاً تجارياً خارج البلاد سُطّرَت رحلته على جدران الدير البحري غرب طيبة ،ومن جرّاء هذا الهدوء أنّ وَجَدَ الأمراء في فلسطين وسوريّة الفرصة السانحة لطرح النير المصري ؛ فقادَ تحتمس الثالث معركة حسمها بإنتصاره على مجدّو المدينة الحصينة ، وامتدّ بزحفه محقّقاً النصر حتى الفرات ، وسجّل إنتصاراته على جدران معبد الكرنك ، ويُعرَف تحتمس الثالث **المرعب** بأنّه عدو الآسيويين أكثر من كلّ الفراعنة.

٣ ـ من رسائل تل العمارنة تلك الرسائل الدبلوماسيّة من حكّام مصريين في كنعان وكانت وقتها خاضعة لمصر أرسلوها إلى امنحتب الرابع (أخناتون) (١٣٨٣–١٣٦٦ق.م.) يشكون فيها من العبيرو (العبرانيين) يستولون على حصون الملك ، من ذلك يتضّح أن غزو يشوع بن نون للأرض حدث قبل ذلك (أي بين سنتي ١٤٠٠–١٣٨٥ ق.م.) ، وهذا دليل على أنّ فرعون الإضطهاد هو تحتمس الثالث والخروج حدث في عهد أمفينوس الثاني.

٤ ـ ذكر مانيتو Maneto (القرن الثالث ق.م.) أنّ الملك أمينوفيس الثاني قد طرد الإسرائيليين إرضاء للآلهة التي كانت غاضبة فأراد أن يطهّر البلاد من البرص وجميع النجسين.

٥ ـ في مقبرة وزير تحتمس الثالث ظهرت لوحة حائطيّة تصوّر عبيداً يصنعون الطوب من طمي النيل ويخلطونه بالتبن ، وفي اللوحة كتابة جاء فيها: " العصا في يدي لا تكن متكاسلاً " .

يتبع

## زفس أو جوبيتر

وهو رئيس الآلهة عند اليونان، وقد سمّاه الرومان جوبتر وقد كان متسلطاً على جميع الآلهة الوثنيّة. ولقد هدف الحكّام الوثنيّون من يونانيين ورومانيين إلى تتميم عبادة زفس في العالم كلّه فأقاموا معابد وتماثيل له في كلّ المدن الهامة تقريباً. وعندما أقام **أنتيخوس الرابع** مذبحاً لزفس فوق مذبح المحرقات في الهيكل في أورشليم إشتعل غضب اليهود وبدأوا ثورتهم بقيادة **يهوذا المكّابي** وإخوته التي انتهت برجوع الحريّة إلى اليهود بعد أربعمائة سنة تقريباً ، قضوها في السبي وفي العبوديّة.

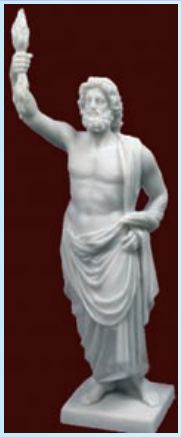

ويحدثنا سفر ألأعمال (١٤:٨–١٨) عن شفاء المقعد في لسترة واعتقاد أهل ليكأونية أن بولس وبرنابا إنّما هما آلهة تشبّهت بالنّاس ونزلت إليهم ، وزعموا أنّ ظهور الرسولين كان تكراراً لما جاء في خرافاتهم من أن زفس وهرمس إفتقدا مقاطعتهم في سالف الأيام ولذلك دعوا برنابا زفس وبولس هرمس إذ كان هو المتقدّم في الكلام. والأرجح أن ذلك كان بسبب فصاحته وحُسن بيانه.

# قصص قصيرة مليئة بالحكمة

وقف أستاذ الفلسفة أمام تلاميذه ، وعلى غير عادته، فلقد أحضر معه هذه المرّة بعض الأواني والأكياس .. أحضَرَ معه وعاءًا زجاجيًّا كبيراً ، كالذي يستخدم في حفظ المخلّلات ، وكرات الچولف، وأكياس أخرى .. وكوباً كبيراً من القهوة الساخنة، إحتسى منها بعض جرعات.

وعندما حان وقت الدرس، لم يتفوّه الأستاذ بكلمة .. بل بدأ بالعمل في صمت .. أخذ كرات الچولف ، وملأ بها الوعاء الزجاجيّ ، وسأل تلاميذه الذين كانوا ينظرون إليه بدهشة واستغراب: «**هل الزجاجة مملؤة الآن ؟**». فأجابوا جميعاً : «**نعم ، إنّها كذلك**».

ثمّ أخذ كيساً آخر ، به قطع صغيرة من الحصى ، وأفرغه في الوعاء الزجاجيّ ، مع رجّة حتى يجد الحصى مكاناً له بين كرات الچولف.وسأل تلاميذه مجدّداً : «**هل الزجاجة مملؤة الآن ؟**». فأجابوا جميعاً: «**نعم ، هي مملؤة**».

ثمّ أخذ كيساً آخر به رملٌ ناعم ، وأفرغه في الوعاء الزجاجيّ ، مع رجّة خفيفة حتى امتلأت جميع الفراغات بالرمل الناعم. وسأل تلاميذه مرّة أخرى: «**هل الزجاجة مملؤة الآن ؟**».. فأجابوا جميعاً بلهفة: «**نعم نعم**» ! ..

إلتقط بعدها الأستاذ كوب القهوة ، وسَكَبَ ما بقي به ، داخل الوعاء الزجاجيّ .. فتغلغل السائل في الرمل .. فضحك التلاميذ مندهشين. إنتظر الأستاذ حتى توقّف الضحك ، وحلّ الصمت ، ثمّ أردف قائلاً:

«أريدكم أن تعرفوا ، أنّ هذا الوعاء الزجاجيّ ، يمثّل الحياة .. حياة كل واحدٍ منكم.. كرات الچولف ، تمثّل الأشياء الرئيسة في حياتنا: **كالدين ، والأسرة ، والأطفال ، والمجتمع ، والأخلاق ، والصحة ..** هذه الأشياء التي لو ضاع كل شيء آخر غيرها ، لاستمرّ الإنسان في الحياة.

أما قطَع الحصى ، فهي تمثّل الأشياء الأخرى المهمة مثل: الوظيفة ، والسيارة ، والبيت. وأما الرمل ، فهو يمثّل كل الأشياء الصغيرة في حياتنا ، والتي لا حصر لها.

فلو أنّكم تملؤون الوعاء الزجاجيّ بالرمل ، قبل وضع كرات الچولف، فلن يكون هناك مجال لكرات الچولف .. ولن يجد الحصى مجالاً له بعد إمتلاء الوعاء بالرمل.

ونفس الشيء بالنسبة للحصى .. فلو أنّنا وضعناه في الوعاء قبل كُرات الچولف ، فلن نجد مجالاً لها. وهذا ينطبق تماماً على حياتنا ، فلو أنّنا شغلنا أنفسنا فقط بالأشياء الصغيرة .. فلن نجد طاقة للأمور الكبيرة والمهمّة في حياتنا: **كالدين ، والأسرة ، والمجتمع ، والصحة.** فعليكم بالإهتمام بصحتكم أولاً ، والقيام بواجباتكم الدينيّة ، واهتمّوا بأُسَرِكُم وأولادكم ثمّ اهتمّوا بالأمور الأخرى المهمّة: كالبيت، والسيَّارة. وبعدها فقط ، يأتي دور الأشياء الصغيرة في حياتنا: كالزيارات وحضور المناسبات والتسوّق في المُجَمّعات التجاريّة والترويح عن النفس وما إلى ذلك ...

وكان الأستاذ على وشك أن يلملم حاجيّاته ، عندما رفعت إحدى التلميذات يدها لتسأل: «**وماذا عن القهوة يا أستاذ ؟**».

«**سعيدٌ جداً بهذا السؤال**» ! .. أجاب الأستاذ.

«فمهما كانت حياتك حافلة ومليئة بالأحداث، فلابدّ أن يكون فيها متسع لفنجان من القهوة مع صديقٍ أو حبيبٍ» .

## هل تعرف كيف يقتل رجل الأسكيمو الذئاب ؟

هو يغمس الطرف الحادّ للخنجر في دماء طازجة لأحد الحيوانات ثم يتركه يتجمّد ،ويغمسه مرّة أخرى ثمّ يتركه يتجمّد ، وهكذا عدّة مرّات وبعد هذا يُثَبّت الخنجر في الأرض وسلاحه متّجهٌ إلى أعلى.

يأتي الذئب في الليل البارد على رائحة الدم ويبدأ يلعق الغذاء الشهيّ بنهم ، تزداد سرعة اللعق كلّما استطعم الذئبُ مذاق الدم الطازج . ويستمرّ يلعق بشغف حتى يتعرّى السلاح الحادّ للخنجرِ ويسيل الدم الدافىء من لسان الذئب ، يواصل الذئب في لعق دمه حتّى يموت دون أن يدري ، ويجده رجل الأسكيمو ملقىً على الجليد في الصباح.

**لقد غرس الشيطان خناجر كثيرة في الظلام ، أيٌّ منها تلعق ؟**

**محبّة المال ـ تعظم المعيشة ـ شهوة العيون ـ الشهرة ـ السُلطة ـ المتعة ؟! أو غيرها ... إنّها كلّها طرق الموت .**

**أُتركها وتعال إلى الرب يسوع الذي دعانا من الظلمة إلى نوره العجيب. فهو القائل:**

**لقد أتيتُ لتكون لهم حياة ويكون لهم أفضل.**

# أيام الخليقة الستة للقديس باسيليوس الكبير Hexameron

## هي عنوان لتسع عظات ألقاها القديس باسيليوس الكبير عن نشأة الكون في الأصحاحات الأولى من سفر التكوين

## العظة الثانية

### كانت الأرض خربة وخالية

١ ـ إنّ ما وجدناه من فكر عميق في الكلمات القليلة التي شغلتنا هذا الصباح ( **العظة الأولى**) يجعلنا نيأس من التقدّم أكثر من ذلك ، لأنّه إذا كانت عظمة وروعة جمال أعمدة الهيكل تُبهر الروح فماذا يكون تأثير قدس الأقداس إذاً ؟! ومَن ذا الذي يجرؤ على الدخول إلى هناك؟ مَن ذا الذي يجرؤ على الإطّلاع على أسرارها؟ ... الواقع إنّ التطلّع إليها ممنوع ، كما تعجز اللغة عن التعبير عما يدركه العقل. ولكن بما أن الديّان العادل يذخر مكافآت عظيمة للنيّة الصالحة في عمل الخير ، دعنا إذاً لا نتردّد في الإستمرار في أبحاثنا. وإذا كُنّا بمعونة روح اللّه ، لا ننحرف عن مَعاني كلمات الكتاب المقدّس فسوفَ نُسهِم بمؤازرة النعمة في بنيان كنيسة اللّه.

يقول الكتاب المقدّس إن «**كانت الأرض خربة وخالية**». خُلقَت السماء والأرض على حَدٍّ سواء ، فكيفَ إذن تكون السماء كاملة في كلّ شيء بينما الأرض مازالت بلا شكل وناقصة (خاوية)، ما هو هذا الذي لم يكتمل بالنسبة للأرض ، هو حدّ الكمال بالنسبة لها: من نموّ جميع أنواع النباتات والأشجار الطويلة سواء المثمرة أو عديمَة الثمر ، كذلك الأزهار ذات الرائحة الطيّبة والألوان الجميلة ، وكُل ما أنتجته الأرض بعد ذلك عند قول الربّ ليُجَمّلها. وبما أنّ أي من هذه الأشياء لم يكُن موجوداً لذا يَصدُق قول الكتاب عندما يَصف الأرض بأنّها ليست ذات شكل «**خربة وخاوية**». ويمكننا القول بأنّ السماء أيضاً لم تكُن كاملة ذلك لأنّها لم تَكُن قد تجمّلت بعد بمجد الشمس والقمر ولم تُتَوّج بالنجوم. هذه كلّها لم تكُن قد خُلقَت بعد ولذلك فأنتَ لا تبعُد عن الحقّ عندما تقول: أنّ السموات أيضاً لم تكن قد أتخذت شكلاً بعد.

كانت الأرض غير مرئيّة لسَبَبين ربما لأنّ الإنسان الذي يستطيع رؤيتها لم يَكُن قد خُلقَ بعد ، أو لأنّ الأرض كانت مغمورة بالمياه فلا يُمكن رؤيتها ، لأنّ الربّ لم يَكُن قد أَمَرَ المياه بعد أن تجتمع في أماكنها التي أطلَقَ الربّ عليها فيما بعد بحاراً .. ما هو هذا الذي كان غير مرئي؟ هو ما لا تستطيع عيوننا أن تراه ، ولأنّ الأرض كانت مغمورة بالمياه فهي غير مرئيّة. لأنّ النور لم يوجَد بعد ، والأرض تُحيط بها ظلمة ؛ **لذلك لا يَجب أن نندهش** عندما يَصف الكتاب المقدّس الأرض بأنّها «**غير مرئيّة**».

٢ ـ إلاّ أنّ مُفسدي الحقّ الذين يُشَوّهون عَن عَمَد معاني كلمات الكتاب المقدّس ، ولذَلك لعجزهم عن إخضاع عقولهم للكتاب المقدّس، إنما يدعون أن المقصود بهذه الكلمات هو المادّة ذَلك لأنّ من طبيعة المادة كما يقولون أن تكون «**بلا شكل**» و «**غير مرئيّة**» ـ من طبيعة وجودها أن تكون بلا شكل وبلا منظر. ولقد قامَ الصانع الماهر بعد

إخضاع المادة لأعمال حكمته بإعطائها شكلاً ، وقام بتنسيقها مما أتى بها إلى حيّز الوجود المرئي.

إذا لم تَكُن المادّة قد خُلقَت إذاً فهي تتمتّع بمكانة مساوية للّه! وهذا هو منتهى الشرّ أن هذا المَسخ الذي بلا شكل أو منظر ، الذي هو «**قبحٌ بلا نظام**» ـ على حدِّ تعبيرهم ـ يكون له نفس حقوق وسلطان اللّه الذي هو الحكمة والقوّة والجمال في ذاته وهو خالق الكون. إلاّ أنّ الأمر لا يقف عند هذا الحد .. إذا كانت المادة عظيمة إلى الحد الذي يجعلها قادرة على الوجود تحت تأثير حكمة اللّه فهي تستطيع أن تصل إلى حد المساواة مع قوّة اللّه الفائقة بما أنّه سيكون في مقدورها قياس الحكمة الإلهيّة!! .. والقول بأنّ أعمال اللّه غير كافية فهذا يوقعنا في التجديف لأنّنا بذلك نكون قد **أَدَنّـا** بأنّه غير قادر على استكمال أعماله ، بما أنّه يحتاج إلى مُساعدة المادة.

لقد خَدَعَت طبيعة الإنسان الفقيرة هؤلاء المفكّرين ، جميع الحرَف التي يُمارسها الإنسان إنّما يطبّقها على أنواع معيّنة من المادّة .. **الحدّاد** مثلاً يستخدم الحديد **والنجّار** يستخدم الخشب.. في جميع هذه الحرَف يوجَد الفاعل والشكل والعمل الناتج عنه .. المادة تأتي إلى الصانع من خارج .. الفَن هو الذي يُعطي الشكل ، والعمل يتمّ في نفس وقت تكوين الشكل والمادة.

هذه هي نفس فكرتهم عن العمل الإلهيّ ، شكل العالم هو ناتج عن حكمة الصانع الأعظم، المادة أتت إليه من خارج ذاته ، فالعالم في هذه الحالة ينجم من أصلين إثنين: فلقد حصل على مادّته وجوهره من خارج ، وحصَلَ على شكله ومنظره من اللّه. وهم بذلك ينكرون أن اللّه القدير هو وحده خالق هذا الكون ويدّعون أنّه إنما ساهَم في

تكميل عمل عادي وكأنّ اللّه قد ساهَمَ بقدر ضئيل في تكوين الكائنات ـ وهُم بذلك يكونون غير قادرين على الإرتقاء بفكرهم المنحط إلى آفاق الحقّ.

نلاحظ هنا على أرضنا هذه أن الفنون تلت المادة في الظهور ، فقد ظهر الفنّ لحاجتنا الماسّة إليه: الصوف مثلاً كان موجوداً قبل أن يُعرَف الغزل ليصنع من الصوف ملابس تسدّ حاجاتنا ، والخشب كان موجوداً قبل تطويعه بالنجارة لتحويله إلى مستلزمات تسدّ احتياجاتنا المتجدّدة يوماً بعد يوم ، فالبحّار يحصل على المجداف والعامل على أذرع الطاحون.

أما بالنسبة للّه فالأمر مختلف ، ذلك أنه قبل أن توجَد كل هذه الأشياء التي تجذب إنتباهنا اليوم وفي الوقت الذي قرّر فيه اللّه أن يُعطي وجوداً لما لم يَكُن له وجود في الأصل ، كان هذا العالَم كلّه في فكر اللّه بالصورة التي يجب أن يكون عليها ، وخَلَقَ المادة في انسجام تام مع الشكل الذي شاء أن يُعطيه لها (تك٢:٥) ، فأعطى السموات طبيعتها السماويّة ، وجعل للأرض جوهراً يتّفق مع شكلها ولها شكل ، بحسب مشيئته ، النار والهواء والماء ـ (القديس باسيليوس يتكلّم عن العناصر الأربعة كما يعرفهم أهل جيله) ـ واهباً كل منها جوهراً يتلائم تماماً مع متطلّبات وجود كل منها. وأخيراً أدْمَجَ جميع أجزاء الكون المتفرّقة بروابط لا يُمكن حلّها ، وأسّس فيما بينهم تجانُس تام حتى أنّ أكثر هذه الأجزاء تباعداً ، على الرغم من بُعد المسافة ، إلاّ أنّها متحدة بباقي أجزاء الكون في تناسق كوني هائل. لذلك أدعو هؤلاء الرجال إلى نبذ خيالاتهم الأسطوريّة لأنّهم ـ على الرغم من ضُعف حجّتهم ـ يدعون أنهم إنما يقيسون قوّة لا يُمكن للعقل البشري أن يستوعبها كما أنّه يعجز عن النُطق بها.

٣ ـ لقد خلَقَ اللّه السموات والأرض ، خلق السموات كاملة وخلق الأرض كاملة خلق الجوهر مع الشكل ، ذلك لأنّ اللّه ليس مخترع لبعض الأشكال ، ولكنّه هو خالق أصل الحياة في الكائنات. دعهم يقولون لنا كيف تعاملت قوّة اللّه القديرة مع طبيعة المادّة السلبيّة التي تقدّم المادّة بلا شكل ، بينما قوّة اللّه تمتلك قدرة التشكيل فقط بدون المادّة وكلاهما في حاجة إلى الآخر ، الخالق لكي يُظهر إبداعه على المادّة ، والمادّة لكي تتخذ شكلاً. ولكن دعنا نتوقف هنا ونعود لموضوعنا.

«كانت الأرض غير مرئيّة وغير مكتملة» ... قول الكتاب المقدّس أنه «في البدء خلق اللّه السموات والأرض» يعني ضمناً أنّ اللّه قد خلق الماء والهواء والنّار والتراب ، وكل ما ينتج عنها في نفس وقت خلقه للكون ، وهذه الإشارة الهادئة لنا لتدرّب قوانا العقليّة على التفكير لاكتشاف الحقّ ، لم يخبرنا الكتاب المقدّس مثلاً عن خلقة الماء ، ولكنّه أخبرنا أنّ الأرض كانت مغمورة وهذا يدفعنا إلى التساؤل: تُرى ما الذي كان يغمر الأرض حتى لا تكون ظاهرة للعيان؟ لا يُمكن للنار أن تُخفي الأرض لأنّ النّار تُنير المكان حولها وتبعث الضوء، وليس الظلمة، ومن غير المعقول أن يكون الهواء هو الذي كان يخفي الأرض لأنّ الهواء بطبيعته ذو كثافة قليلة وشفّاف، فهو لا يحجب الرؤية على الإطلاق ـ وعلى هذا يتبقّى إفتراض واحد فقط وهو أنّ الشيء الوحيد الذي كان يغمر الأرض ويطفو على سطحها هو الماء ـ ذلك السائل الذي لم يكن قد تحدّد له مكان بعد ، ولهذا لم تكن الأرض غير مرئيّة فقط وإنما كانت غير مكتملة، حتى في يومنا هذا نلاحظ أنّ غمر الأرض بمياه كثيرة فوق الحاجة يعوق إنتاجيّة الأرض وهذا السبب نفسه في ذات الوقت يجعل الأرض مخفيّة عن الأنظار وغير مكتملة ، لأنّ جمال الأرض في كمالها ؛ أي أن تكون مُزدانة بسنابل القمح ومغطّاة بالحشائش والأشجار ، وغنيّة بالزّهور الملوّنة ، ومليئة بالأودية الخصبة ، وقمم التلال التي تظلّلها الغابات .. في البدء لم يكن شيء من هذا قد وُجِدَ بعد ، كانت الأرض تتمخّض بكل هذه الأشياء بحكم القوّة التي استمدّتها من الخالق ، ولكنّها كانت تنتظر الوقت المعيّن من قِبَل اللّه والأمر الإلهيّ لتُعطي ثمراً.

٤ ـ «على وجه الأرض ظلمة» ... تُعتبر هذه الآية مصدراً جديداً للتخيلات المنحرفة ، ذلك إذا أُسيء فهم كلماتها عن عمد.

هؤلاء الرجال الأشرار لا يفهمون المعنى المقصود بكلمة «**ظلمة**» لقد كان المكان كلّه يفتقر إلى النّور. ولكن بالنسبة لهؤلاء الرجال «**الظلمة**» تعني قوّة الشرّ ، أو بالأحرى هي تجسيد لقوى الشرّ التي أصلها من ذاتها وهي في صراع دائم ضد خيريّة اللّه. وهم يقولون أنّه بما أنّ **اللّه نور** فمما لا شكّ فيه أنّ القوّة المضادة له هي **الظلمة** ، التي في رأيهم موجودة من ذاتها ولم يوجدها أحد ـ شرّ موجود بذاته. هذه «**الظلمة**» هي عدوّ للروح وهي السبب الأوّل للموت وعدو كل فضيلة. يقولون أن كلام الوحي يوضح أن «**الظلمة**» كائنة من ذاتها ولا تستمدّ وجودها من اللّه ـ يا لها من قوانين خاطئة! ويا لهَم من ذئاب مفترسة تفتك بقطيع خراف المسيح !! من هنا **إنبثقت الهرقطات** التي أساءت كثيراً إلى الكنيسة.

لماذا أيها الأنسان تبتعد هكذا عن الحقّ وتُثير لنفسك تخيّلات تؤدّي إلى هلاكك الأبديّ ؟! إنّ كلمات الكتاب المقدّس بسيطة وفي مستوى إدراك الجميع «**كانت الأرض غير مرئيّة**» لماذا؟ لأنّ «**الغمر**» كان يُغطّي سطحها. وما هو «**الغمر**»؟ مياه كثيرة ذات عمق هائل ، ولكنّنا نعلم أنّه من الممكن أن نرى الأجسام من خلال المياه النظيفة الخالية من الشوائب، كيف إذاً تعذر رؤية الأرض؟ ذلك لأنّ الهواء الذي كان يحيط بالكرة الأرضيّة كان يفتقر إلى الضوء.

إنّ أشعة الشمس التي تخترق المياه تسمح لنا برؤية الحصى الذي يفترش قاع النهر ، ولكن في ليلة مظلمة يستحيل أن تخترق أبصارنا أعماق المياه. وعلى هذه فإنّ كلمات الكتاب بأنّ الأرض كانت خربة أي غير مرئيّة، إنما تفسرّها الآية التي تليها أن «**الغمر**» كان يغطّي سطح الأرض، وكانت ترزح في الظلمة. وعلى هذا فإنّ «**الغمر**» ليس قوّة عاديّة ، كما أنّ الظلمة ليست قوى شرّ معادية للخير كما يتصوّر البعض.

نلاحظ أنّه إذا وجد عنصران متضادّان سيتمتّعان بدرجة متساوية من القوّة، واشعلا حرباً فيما بينهما سويّاً ، تنتهي بدمار العنصرين ، ولكن إذا تفوّقت إحدى القوّتين سوف تدحر الأخرى.

وللحصول على حالة متوازنة بين الخير والشرّ في صراعهما لابدّ من تصوّر أنّهما إشتركتا في حرب بلا نهاية ، لا غالب فيها ولا مغلوب. إذا كان الخير أقوى من الشرّ فما الذي يحول دون القضاء عليه (أي على الشرّ) نهائياً.

الواقع إنّني أتعجّب كيف أنّ هؤلاء القوم لا تمتلكهم الرعدة لمجرّد تفكيرهم وتصوّرهم لمثل هذه التجاديف المنفّرة. كما أنّه من الخطأ روحياً أن يُقال أن الشرّ استمدّ وجوده من اللّه لأنّ الضدّ لا ينتج ممّا هو ضدّه. الحياة لا تلد موتاً ، والنّور لا ينبثق من الظلام، كما أنّ الصحة لا تنتج عن المرض ، إنّما هذا يعتبر تغيير من حالة إلى عكسها .. أما في التكوين فكل كائن يخرج من مثيله .. وإذا كان الشرّ لم يستمدّ أصله من اللّه ولم يخلقه اللّه إذاً ، فمن أين استمدّ طبيعته؟ بالطبع كلّنا نتفق على أنّ الشرّ موجود ، فكيف نفسّر الأمر؟ الواقع أن الشرّ ليس كائناً عاقلاً حيّاً ، وإنما هو حالة تكون فيها الروح مخالفة للفضيلة، هذه الحالة تنمو وتتطوّر لدى البعيدين عن الخير.

٥ ـ لا يجب إذاً أن يسعى الإنسان إلى خراب نفسه ويتصوّر وجود الطبيعة الشرّيرة من الأصل. بل يجب أن يعترف كلّ شخص منّا أنّه هو نفسه صانع شروره.

من خلال أحداث الحياة اليوميّة يُعاني الإنسان من بعض المساوىء الطبيعيّة مثل التقدّم في العمر والمرض وهناك ما يكون عارضاً مثل الأحداث المفاجئة ، التي تأتي دون ترتيب مثل العثور على كنز ، أثناء حفر بئر ماء أو ملاقاة كلب مسعور في الطريق ، وهذه أمور لا دخل للإنسان بها ، ولكن هناك أمور تعتمد على شخصياتنا: مثل التحكّم في مشاعرنا والسيطرة على الغضب، أو معاداة من يُضايقنا ، أن نقول الحقّ أو نكذب ، أن يكون الإنسان حلو المعشر أو شرس الطباع ، الإنسان هو المتحكّم في تصرفاته ولذلك يجب أن لا يبحث الأنسان عما يبرّر تصرفاته من أسباب خارجيّة، بل عليه أن يعرف أن الشرّ مصدره سقطات الإنسان الإراديّة ، ذلك أنّه لو لم تكن سقطات الإنسان إراديّة لما كان تطبيق القانون مُرعباً للخطاة المدانون. ويجب التنويه على أنّ ما يصيب الإنسان من مرض وفقر وموت .. لا يُعتبر من الشرور. ذلك لأنّ بعض هذه الأمور التي تصيب الإنسان تتحوّل لفائدته. لذا فلنصمت الآن ونتابع كلمات الكتاب المقدّس عن «**الظلمة**».

وللإجابة على هذه التساؤلات نقول أنّ الظلام ليس له أصل في ذاته وإنّما هو حالة في الجوّ تنتج عن إختفاء النّور. ما هو ذلك النّور الذي اختفى فجأة من العالم حتى أنّ الظلام أصبح يحيط بالغمر؟ إذا كانت هناك كائنات موجودة قبل خلقة هذا العالم الفاني فإنّنا نستنتج أنّها كانت تتمتّع بالنّور. طغمات الملائكة والكائنات السماويّة وجميع الأرواح لم تكن في ظلام بل كانت تتمتّع بحالة توافق طبيعتها. كانت تتمتّع بالنّور والفرح الروحي.

لا يوجد مَن يُناقض هذا الكلام، على الأقل لا يُناقضه كل مَن يتطلّع إلى النور السماوي الذي هو جزاء الفضيلة والخير. ذلك النّور الذي يقول عنه سليمان هو نور دائم للصدّيقين (أم٩:١٣) النّور الذي جعل الرسول يقول: «شاكرين الآب الذي أهّلنا لشركة ميراث القديسين في النّور» (كولوسي١٢:١).

أخيراً ، إذا كان الخطاة المُدانون سوفَ يُطرَحون في الظلمة الخارجيّة (متى١٣:٢٢) فغنيٌّ عن البيان أنّ المستحقّين للمكافأة ، ستكون لهم الراحة والنياح في نور السماء. حينئذ بناءً على ترتيب اللّه:

أ ـ فإنّ السماء ظهرت تحتوي كل ما تتضمّنه هناك وهي جسم لا ينقسم أي يفصل الأشياء الخارجيّة عن ما بداخلها ..

ب ـ هناك ثلاثة أشياء تُكَوّن الظل وهي النّور والجسم ومكان مظلم.

ج ـ ظلّ السماوات يكون ظلام العالم ، أرجو أن تفهم ما أعنيه من خلال مثل بسيط.

تصوّر ، أنّك قمت أثناء الظهيرة بشدّ خيمة مصنوعة من مادّة سميكة وكثيفة تحجب الضوء ، وتدخُل داخلها وتُغلق على نفسك في ظلام عام وفجائي. الظلمة أساساً هي ناتجة عن أسباب خارجيّة. قيل أنّ الظلمة كانت تحيط بالغمر ذلك لأنّ الهواء يتلامس مع سطح الأجسام والماء يغمر كلّ شيء ، إذن نقول أنّ الظلمة كانت على وجه الغمر.

**يتبع في العدد القادم**

## إثنولوجيا فلسطين (أجناس سكانها) حسب الكتاب المقدّس

كان سكّان فلسطين الأصليّون قوماً طوال القامة ، أشدّاء ، يتألّفون من الرفائيين، والزوزيين، والأيميين، والحوريين (تك١٤:٥)، والعناقيين. (يشوع١١:٢١-٢٢). وكان من هؤلاء السكّان الأصليين بقايا حتى في عهد المملكة العبريّة (٢صم٢١:١٦-٢٢). وعندما وصل إبراهيم إلى البلاد كان معظم سكّانها من الأموريين وقبائل كنعانيّة أخرى صغيرة. وأمّا الفينيقيّون فكانوا يقطنون الأراضي الساحليّة، والحثّيون التخوم الشماليّة وحبرون ؛ وقد نزح الفلسطينيّون على الأرجح من جزيرة كريت **اليونانيّة** حوالي القرن الثاني عشر قبل الميلاد أو قبل ذلك، وكان الكنعانيّون بما فيهم الفينيقيّون يتكلّمون لغة ساميّة. وقد قهر العبرانيّون هؤلاء الشعوب في أيام موسى ويشوع إلاّ أنّهم لم يبيدوهم كليّة. وظهور الأدوميين والعمونيين والموآبيين من حين إلى آخر بين بني إسرائيل عن طريق الحرب أو الهجرة ، لم يُضف إلى دم العبرانيين دماً غريب الجنس، فإنّ هؤلاء الشعوب كانوا ساميين ومن نسل إبراهيم كالعبرانيين. وكذلك القبائل الآراميّة التي أخضعها العبرانيون لحكمهم لم تُضف إلى مجموعتهم سوى الساميين. وبعد سقوط السامرة سَبى الأشوريون الأسباط الشماليّة والشرقيّة من بني إسرائيل وادخلوا البلاد مستعمرين من حماة وبابل وعيلام (٢مل١٧:٢٤ وعز٤:٩). وكان معظمهم من الساميين. وعلى أثر فتوحات الأسكندر الكبير ، عَقبَ ذلك هجرة من اليونانيين على نطاق واسع. فاستوطنوا بتولمايس (**عكا**) وبنوا المدن العشرة (**ذيكابوليس**). وأدخلوا معهم لغتهم وعاداتهم وثقافتهم. بعدها دخل البلاد مستعمرون رومانيّون من جيش وموظفين ومدنيين.

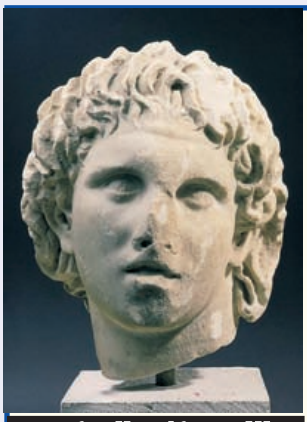

الأسكندر الكبير

# السجود والعبادة بالروح والحقّ

## من تفسير سفر التكوين للقديس كيرللس رئيس أساقفة الأسكندريّة

## التوبة والأبتعاد عن دائرة الخطيئة، والإرتقاء في معارج الفضيلة

من عظاته المميّزة

«ولمّا طلع الفجر كان الملاكان يُعَجّلان لوطاً قائلين قُم خُذ إمرأتك وابنتيك الموجودتين لئلا تهلك بإثم المدينة ، ولمّا توانَى أمسكَ الرجلان بيده وبيد إمرأته وبيد إبنتيه لشفقة الربّ عليه وأخرجاه ووضعاه خارج المدينة» (تك١٩:١٥-١٦).

**كيرلّس:** وما حدث هو دليل واضح جداً لكَ ، إذ أنّ اللّه لا يُشجّعنا بالكلام فقط. وعندما نتوسّل إليه لكي نتجنّب الخطيّة ، فإنّ مخلّص الجميع يصل إلى هذه الدرجة من الجود والطيبة والكَرَم تجاهنا ، لدرجة أنّه يُعطينا يده الممدودة إلينا حسب ما تقول الآية: «ولكنّي دائماً معك، أمسكت بيدي اليمنى»(مز٧٢:٢٣). أي بسبب أنّ الطبيعة الإنسانيّة ليست قويّة بالكفاية ولا تملك قدرات كافية تمكّنها من أن تتجنّب الشرّ ، إلاّ أنّ اللّه قد صارَ شريكاً معها في الجهاد. ونرى أنّه يمنحنا نعمة مزدوجة ، ويحاول أن يقنع النفس بالشرائع ويُمهّد لها الطُرق التي تساعدها، مانحاً إيّاها المقدرة على الأنتصار على الشرّ الذي يعطّلها ويُميتها. وسترى أن هذا الأمر هو أمر واقعي إذ أن أولئك **العاملين بالبرّ ، هم قليلون ، وأنّ الرجال الصالحين نادرون في هذه الحياة**. لأنّه مكتوب: «أما الرَجُل الأمين فمن يجده» (أمثال ٢٠:٦). لكن هذا الإنسان الأمين هو مُختار وجدير بكل رعاية. وبالرغم من أنه يحيا داخل العالم مع الآخرين ، لكنه لا يُصاب بضرر من هذا العالم. فهو يُختَطَف من داخل الأشواك مثل السوسن. وبحسب شهادة القديسين فإنّ البار لا يمكن أن يَهلَك مع الأثمة.

**بلاديوس:** بناء على ذلك ، فإن اللّه يشفق علينا ، والملائكة والقديسون يُسرعون نحونا. وسوفَ نتخلّص من شهواتنا الدنيئة ، وسوفَ ننجح ولن نقع أسرى لأنتقام الأشرار بأي حال من الأحوال إذ نؤمن باللّه الذي يُنادي بفم نبيِّه: «لأنّي أنا الرب إلهك المُمسك بيمينك القائل لك لا تخَف يا دودة يعقوب يا شرذمة إسرائيل أنا أُعينك يقول الربّ وفاديك قدّوس إسرائيل» (أشعياء ٤١:١٣-١٤).

**كيرلّس:** هل يد الملاك التي قد أسندت لوط ، لا تكفي لتبرهن على أنّ اللّه ضابط الكل هو معين القديسين؟ من المُمكن إعتبار الملائكة مثالاً للّه. فأولئك الذين اقتربوا من إبراهيم قَديماً عند **بلوطات ممرا** كانوا ثلاثة، واللذان زارا سدوم كانا إثنين (الثلاثة: هم الآب والإبن والروح القدس، والإثنين هما الآب والإبن ، أو يجوز أن يكون الأبن بطبيعتيه اللاهوت والنّاسوت).ومن كلام المخلّص نفسه نعلم أنّ «الآب لا يدين أحداً» بل «أعطى كل الدينونة إلى الإبن» (راجع يو٥:٢٧). فواضح أنّ الإبن كائن مع الآب ، ومن الطبيعيّ أن الروح القدس كائن معهما.

**بلاديوس:** إنّ تفكيرك في الأمر حسنٌ جداً ، دعنا نفحص، لو وافقتني ، بقيّة الحديث.

**كيرلّس:** لا توجَد أيّة مشقّة. سأقول لك فوراً. مكتوب أنّه:«وكان

لما أخرجاهم إلى خارج أنه قال أُهرب لحياتك. لا تنظر إلى ورائك ولا تقف في كلّ الدائرة. أُهرب إلى الجبل لئلا تهلك» (تك١٩:١٧). عندما يقول الكتاب «**أُهرب لحياتك**» يقصد على ما أعتقد، تماماً هذا الذي يُقال: «إحفظ نفسك طاهراً ولا تشترك في خطايا الآخرين» (١تيمو ٥:٢٢). وانتصر على كلّ معوقات العالم لأنّه ولا كُلّ العالم يمكن أن يُعطَى بدلاً عن النفس «لأنّه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كلّه وخسر نفسه» (متى١٩:٢٦). هذا ، وما يُقال إنّ خطواتنا يجب ألاّ ترجع إلى الوراء ، ربما يعني أن لا نرجع إلى الدناءة وألاّ يكون لنا فكر أولئك الذين سيُدانون بالنّار ، بسبب ضعفهم في ضبط النفس ، لأنّه يقول: «ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء يصلح لملكوت اللّه» (لوقا ٩:٦٢). يجبّ أنّ **نُصرَّ** على السلوك في طريق الخلاص ، ولا ننشغل بأيّ شيء آخر بإرادتنا، ولا يتملّكنا **عقل هوائي مُندفع نحو شهوات عالميّة تافهة**. لكن **بعقل راجح متيقّظ يهتم دائماً بالنظر إلى الأمام**. وأقول ما هو أعظم ، لمَ يقُل له الملاك يجب أن تسير دون أن تلتفت للوراء فقط ، لكنّه أضافَ نصيحة مُفيدة بقوله: «**لا تقف في كلّ الدائرة** أُهرب إلى الجبل لئلا تهلك».

**بلاديوس:** وماذا يقصد بقوله «لا تقف في كلّ الدائرة»؟.

**كيرلّس:** أعتقد أنّه أراد أن يُبيّن الخمول والكسل نحو الألتزام بتجنّب الشرّ،الشرّ الذي هو بالتأكيد **إختيار خاطىء وقاتل للنفس**.

**بلاديوس:** أخبرني كيف؟

**كيرلّس:** تقول الكلمة النبويّة:« ملعونٌ مَن يعمل عمل الربّ برخاوة» (إرميا ٤٨:١٠). ويقول بولس العظيم في موضع ما «أركضوا لكي تنالوا» (١كو٩:٢٤). فكَون إنّنا لا نُريد أن نُظهر بأساً شديداً ، أو أن نكون غير مهتمين بالإبتعاد عن السيئات ، وكونَ العقل لا يريد أن ينقطع عن الأشياء العتيقة ، أو يبتعد بطريقة ما عن كل دناءة أو تردّد في فعل ما هو نافع ، كل هذا لا يعني شيئاً آخر سوى

أنّ الشخص يتوقّف **بإرادته في دائرة الشرّ**. بينما كان يجب عليه أن يَخرُج مُسرعاً .

وهناك أمرٌ آخر يمكن أن يحدث وهو أنه قبل أن نخرج من دائرة الشرّ ، وبينما نحنُ نفكّر فيما نفعله بخصوص خروجنا من هذه الدائرة ، فإنّنا نؤجّل خروجنا هذا ، وبذلك نُسبّب لأنفسنا الإدانة ، إذ أنّنا لم **نُطَهّر** أنفسنا ، ولم **نتطهّر** من التلوّث الذي أصاب نفوسنا بسبب **رخاوتنا القديمة** ، ولم نُلقِ عن كاهلنا إنحلالنا وثقَل جرائمنا ولم ندخل تحت النير الخلاصي **لكي يريحنا المسيح**. إذاً فهذه النصيحة: «**لا تقف في أي مكان في الدائرة**» هي حسنة جدّاً وهي تعني ألاّ تبقى في أيّ حالة دنيئة أو أي موقف يجعلك أسيراً ، لكن بالحريّ إصعد إلى حياة فائقة مُشرقة ، وكأنّك صاعد إلى جبل عال ، فتلك الحياة ليس بها أي وضاعة ، بل تتميّز بالفضائل السامية والفائقة. وبهذا تتخلّص من السلوك المُشين ، أي الأرضي والجسدي. لأنّه يقول: «أقوياء اللّه يرتفعون في الأعالي عن تدبير الذين على الأرض» (مز٤٦: ١٠). لأنّ السلوك اللائق بالقدّيسين هو سامي جداً عن الأرضيات «النسور تطير في الأعالي»(أيوب ٣٩: ٢٧). وبحسب المكتوب ، فإنّ حياتهم تنمو ، وكأنّها على «الجبل» في السماء، ويعتبرون وطنهم السماوي ملْكاً لهم. ويكتب بولس في موضعٍ ما «أطلبوا السماويّات وليس الأرضيّات» (كولوسي ٣: ٢).

**بلاديوس:** إذاً يمكننا أن نفهم أن كلمة «**الجبل**» تُعبِّر عن حياة القداسة، والإرتقاء نحو سماويات الحياة العظيمة ، بينما كلمة «**أسفل**» تعني طريقة الحياة غير الطاهرة التي تميل إلى الخطيّة والأمور الأرضيّة.

**كيرلس:** حسناً تقول ، لأنّ هذا هو بالضبط ما قصدته من حديثنا غير أن ما سوف أقوله لك الآن ، هو أمرٌ جديرٌ بالأعتبار.

**بلاديوس:** وما هو ؟

**كيرلس:** قال الملاك الطوباوي إنّ لوط كان يجب أن يصعد إلى الجبل مُسرعاً بدون أن يتأخّر وبدون أن ينظر إلى الوراء. لكن لوط توسَّل إليه قائلاً: «هوذا عبدك قد وجد نعمة في عينيك وعظمتَ لطفك الذي صنعت إليّ باستبقاء نفسي وأنا لا أقدر أن أهرب إلى الجبل. لعلّ الشرّ يُدركني فأموت. هوذا المدينة هذه قريبة للهرب إليها وهي صغيرة. أَهرُب إلى هناك أليست هي صغيرة فتحيا نفسي. فقال له: إنّي قد رفعتُ وجهك في هذا الأمر أيضاً أن لا أقلب المدينة التي تكلّمت عنها. أسرع أُهرُب إلى هناك لأنّي لا أستطيع أن أفعل شيئاً حتى تجيء إلى هناك. لذلك دُعيَ إسم المدينة صوغر. وإذ أشرقت الشمس على الأرض دخَلَ لوط صوغر» (تك١٩: ١٨-٢٣).

**بلاديوس:** وما النفع الذي سوفَ يعود علينا من كُل هذا ، لأنّك تَعلَم جيّداً إني أُريد أن أتعلّم وأستفيد.

**كيرلس:** ألا تعرف ـ مع أنّ لديك ميلٌ عظيم للتعلّم ـ إنّ أولئك الذين قد هجروا الأعمال الدنيئة لا يجب أن يظنّوا أنّهم سوفَ يسلكون مُباشرة في طريق الخلاص، ولا أنّهم بمحاولتهم الأولى سوف يقتنون الفضيلة ولا يظنّون أن قراراتهم سوفَ تكون قاطعة ؟ بل إنّ المرء لن يسلك بسهولة إلى المدينة الفاضلة، ولن يبتعد عن الشهوات التي قد **تَعوَّد** عليها ، لكنه سيبتعد عن كلّ هذا بهدوء حسب إستعداده ، ورغبته في حياة أفضل. ولن يكون بعيداً أو أعلى كثيراً ، بل سيكون كما لو قد وُجدَ في أرض أُخرى ، في حياة تستحقُ بالتأكيد المدح والثناء ، لكنّه لم يَصل بعد إلى مجد أسمى وأبهى ، وذلك كما تُرفع النفوس بالتربية بحسب الناموس ، إلى مبادىء حسنة وحياة صالحة. لأنّه مكتوب: «بداية طريق الصلاح هي فعل البرّ». أي أن الذين يرغبون المعرفة ويشتهون الرؤية السريّة ، فإنّ كلمة الوعظ تلائمهم في البدايات ، بينما أولئك الذين قطعوا شوطاً أكبر إلى «الإنسان» الناضج وإلى الكمال حيثُ المسيح هو مقياسٌ له «إلى أن ننتهي جميعاً إلى وحدانيّة الإيمان ومعرفة ابن اللّه. إلى إنسان كامل إلى قياس قامة ملء المسيح» (أفسس٤: ١٣). فيناسبهم كثيراً الطعام القوي ، أي الكلام عن الأسمى ، وبعد ذلك طريق معرفة الإلهيّات. هكذا أقول هنا، أي في تصحيح السلوكيّات والمناهج الأخلاقيّة، لا ينبغي أن نتوقّع وصول البعض للعلوّ فوراً نحو الكمال ، أي إلى ما هو فوق الطبيعي ، إلى ما يُناسب المدينة الفائقة السموّ. فيجب على ما أعتقد أن نبدأ خطوة خطوة من الأمور الصغيرة والتي تتناسب مع قرارتنا في التقدّم نحو الكمال. وبطريقة ما نُسرع في الدخول ، وكأنّه إلى مدينة صغيرة مجاورة إلى الجبل العالي ، كما إلى مدينة غير مرتفعة كبداية للحياة السامية والفائقة. هكذا فالبار لوط يُمكن أن يكون مثالاً لهؤلاء الذين في هذه الحالة ، والذين لم يجدوا لهم مأوى يُناسبهم ، في الجبل مباشرةً ، ولكن في المدينة الصغيرة **صوغر**. ألا نجد في العظات الإنجيليّة مرّات كثيرة تطبيق لمثل هذه التدابير في حياة المؤمنين؟. حقيقةً يكتب بولس الطوباوي في رسالته: «وأمّا من جهة الأمور التي كتبتم لي عنها فحسنٌ للرجل أن لا يمسّ إمرأة ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد إمرأته وليكن لكل واحدة رَجُلَها ... ولكن أقول هذا على سبيل الإذن لا على سبيل الأمر. لأنّي أريد أن يكون جميع الناس كما أنا. لكن كُل واحد له موهبته الخاصّة من اللّه. الواحد هكذا والآخر هكذا» (١كو٧: ١، ٦، ٧). أرأيت كيف أنّ العمل السامي الفائق في ضبط النفس أظهره مثل جبل بقوله: «أنّه حسنٌ للرجل أن لا يمسّ إمرأة». وسَمح لنا أن ننزل إلى صوغر ، أي إلى حياة ما زالت بعيدة عن مستوى الكمال، وأقصد التصريح بأن يكون المرء في إتصال مع إمرأته فقط؟. وقول المخلّص: إنّ الأرض الحسنة جداً ، ستُعطي مائة وأخرى ستّون وأخرى ثلاثون. وإنّ المواهب التي يوزّعها ليس بمقياس متساو ، لكن الواحد خمسة والآخر إثنين ، والثالث واحد ، بيّن بذلك ـ على ما أعتقد ـ أنّ قدرات الإثمار غير متساوية ، ولهذا فقد وَهَبَ بمقدار ما يتناسب مع مقدرة كل واحد ومع معرفته. لأنّه سَبَقَ أن قُلنا إنّ لكل واحد موهبته ووزناته الخاصّة من اللّه.

**بلاديوس:** بالصواب تتكلّم

**كيرلس:** إذن لقد سمح لهم الملاك الطوباوي أن ينزلوا إلى صوغر. لأنّه يقول: تعجّبت حقيقةً لشجاعتك ولكلمتك هذه ، سوفَ لا أُدمّر المدينة التي تكلّمت عنها معي ، أسرع إذاً لتخلُص هناك (تك١٩: ٢١-٢٣). ثمّ بعد ذلك يقول تعجّبت لطلبك الجريء أن لا أُدمّر المدينة التي قلتَ لي عنها، لأنّه حقيقة، أنّ اللّه لا يُريد حياة لا تتفق

تماماً مع الفضيلة ، كما أنّه غير مقبول لديه مجرّد التهاون البسيط مع مثل هذه الرغبات ، فهذا الأمر لابدّ أن يُلام المرء عليه. ومن ناحية أخرى فإنّ اللّه يسمح ـ من محبته للبشر ـ بأن يعمل المرء في البداية ما يُناسب قدرته. فاللّه يسمح بخلاص هؤلاء الذين مازالوا يبحثون عن الفضيلة، ومع ذلك لم يبتعدوا تماماً عن الحياة المثقلة بالهموم. إنه الوصول إلى هذه الدرجة وهذه الحالة ، لا يتحقّق بدون النور الإلهيّ وضياء المصابيح السماويّة لأنّه يقول: «أشرقت الشمس ولوط دخل إلى صوغر».

**بلاديوس:** كم هو دقيق ما تقوله ؟

**كيرلس:** إذاً فإن لوط العظيم دخل بسرعة إلى المدينة الصغيرة بإذن من اللّه. وفي فعله هذا أظهَرَ أنّ المرأة التي تبعته في الرحيل كانتْ ضعيفة، لأنّه يقول: «إلتفتت إلى الوراء وصارت عمود ملح»

لاحظ أن العقل الشجاع والسلوك الطيّب ـ حتى وإن لم يصل إلى الكمال الذي يُسَرّ به اللّه ـ يبدأ في تحقيق النجاح في طريق الفَضيلة، إلى أن يبتعد تماماً عن الشهوات سائراً نحو الأفضل. أما العقل الضعيف الواهن الذي ترمز إليه هذه المرأة ، فإنّه بخضوعه المستمرّ للأفكار الدنيئَة ينتهي الحال به إلى الفساد. وهذا في إعتقادي ، يقصده هنا بأنّها صارت عمود ملح. وهذا يُمكن أن يرمز أيضاً للنفس التي بلا حياة ، وللعقل الذي يميل للسقوط في الحماقة ، والذي قد يصل إلى قمّة البلادة. **فالملح إذا فسد** لن يكون له أي صلاحيّة ، قال المخلّص أنّه لن يصلح تماماً بل يُلقى خارجاً ويُداس من الناس (متى٥:١٣). المرأة تحجّرت إذاً. غير أنّ لوط لم يكتف بهذا إذ يقول الكتاب: «وصَعدَ لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه لأنّه خافَ أن يسكُن في صوغر. فسكن في المغارة هو وابنتاه» (تك ١٩:٣٠). إنّ العقل يتقدّم بالتدريج نحو الكمال، ويُرفَع ببطء إلى مستوى أرقى ، ويتقدّم ويسمو إلى الأفضل ، مستنداً على النُضج والسموّ الروحيّ ، مثلما فعلتا إبنتاه ، حيثُ **تركتا الميل لحبّ الجسديّات والرخاوة** التي يُرمَز لها **بإمرأة لوط**. ويسكن لوط بعد ذلك كما في جبل ومغارة. وللجبل والمغارة دلالات واضحة جداً ، فالجبل يُشير إلى العظَمَة وسموّ القوّة الروحيّة ، بينما المغارة تُشير إلى الثبات والإستقرار في الفضيلة. لأنّه مكتوب عن الرجال الصالحين ما يأتي: «السالك بالحقّ والمتكلّم بالإستقامة الرافل مكسب المظالم ، النافض يديه من قبض الرشوة ، الذي يسدّ أُذنيه عن سمع الدماء ، ويُغمّض عينيه عن النظر إلى الشرّ ، هو في الأعالي يسكن. حصون الصخور ملجأه. يُعطى خبزه ومياهه مأمونة» (أشعياء ٣٣:١٥-١٦).ويمكننا أن نفسّر هذا الكلام بطريقة أخرى، بمعنى أنّ الصخرة هي المسيح ، بسبب أن طبيعته الإلهيّة تُقَوِّم طبيعتنا، فهو كُليّ القدرة وغير قابل للتغيير. بينما الحصن يُمكن أن يُفَسّر روحيّاً ويعني الكنيسة. إذ هي غطاء للأنقياء حيثُ يسكن الأبرار والذين يخافون دينونة النّار. ■

## أنتم ملح الأرض . ولكن إن فسد الملح فبماذا يملح . لا يصلح بعد لشيء إلا لأن يطرح خارجاً ويداس من الناس » ( مت٥:١٣ )

إنتبه اليهود الأتقياء لهذا المفهوم الهام جداً فإجتمعت جماعة منهم وكونوا مدرسة باسم « الأسينيين » (من آسى يواس أى يعالج ويعزى ) في اليهودية بجوار البحر الميت وجماعة أخرى لعمل الشفاء واسموها « ثرابيسوتا » أى العلاج أو الإشفاء وذلك فى مصر بجوار بحيرة مريوط . الأولى بجوار بحر مالح والثانية بجوار بحيرة مالحة إمعاناً فى إضفاء صفة الحفظ والتأثير على الآخرين . وقد أكّد هذا الفعل والتأثير واضع الناموس وترتيبات تقديم الذبيحة ، إذ يتحتم تمليح الذبيحة بالملح قبل تقديمها على المذبح حتى تُقْبَل لدى اللّه ، وهى كناية شديدة عن ضرورة أن يكون الإنسان – وهو الذبيحة الدائمة والطبيعية المقدمة للّه – بلا فساد ومحفوظاً من الفساد بنوع من التطهير غير المنظور ، فالملح رمز محبوب وهو تعبير عن الإنسان الطاهر وبالتالى الذبيحة الطاهرة ( لا٢:١٣) ، ( كو٤:٦) .

وكان فى زمن المسيح مثلٌ شائع وهو قولهم لا يفوق شئ الشمس والملح نفعاً ( التاريخ الطبيعى لبلينوس٣١:٩) . فإنه كما أن الملح ونور الشمس فى العالم المادي مانعان للفساد والظلام هكذا يجب أن يكون فى العالم الروحى تلاميذ المسيح المملوؤن بقوة الحق الحية المنقذة .

الملح كان رمز النقاوة ولا شك أن لمعانه وبريقه ولونه الأبيض كان يوصي بذلك . ولقد اعتقد الرومان أن الملح أنقى الأشياء لأنه ناتج من أنقى الأشياء وهي البحر والشمس وقد كان الملح يقدم قرباناً للآلهة . كان الملح منذ القديم يستخدم لحفظ الأطعمة من الفساد . وقد عبر **بلوتارك** عن هذه الحقيقة بكيفية غريبة إذ قال : إن اللحم هو جزء ميت من جسم ميت ، وإذا تُرك لذاته يفسد، لكن الملح يحفظه طازجاً ويمنعه من الفساد فهو بذلك كروح جديدة تدخل فى الجسد الميت .

وقد استخدم المسيحيون الأولون هذه الآية بكيفية غريبة مستخدمين التقاليد اليهودية أيضاً فقد كان من عادة مجامع اليهود أن اليهودى الذى يضل بعيداً عن اليهودية ، ثم يعود مرة ثانية إلى الإيمان لابدّ عليه قبل أن يقبله المجمع أن يرتمى تائباً أمام باب المجمع ويدعو الناس أن يدوسوا عليه وهم داخلون . وقد أخذت الكنيسة المسيحية الأولى فى بعض الأماكن هذه العادة وأخذت تمارس هذه الطريقة مع المسيحى الذى يطرد من الكنيسة تأديباً له ، بأن تطلب منه قبل أن تقبله الكنيسة ثانية ، أن يرتمى عند باب الكنيسة ، ويدعو الداخلين قائلاً: « دوسوا عليّ ، أنا الملح الذى فقد ملوحته » .

فى طقس المعمودية عند الكنائس القديمة كان يوضع قليل ملح في فم الطفل المعمد .

**ولكن إن فسد الملح:** كان الملح يتجمع من السنجات قرب البحار (صفنيا٢:٩) وكان مختلطاً بكثير من الأوساخ ، فإذا كانت تنقيته ممكنه استعمل لتمليح الطعام ( أيوب ٦:٦) وحفظه – بوضعه على المأكولات المراد حفظها لمدة طويلة – أما إذا كان غير صالح فقد كان يحفظ أحياناً إلى فصل الشتاء ليُرَش على الساحات والشوارع المرصوفة – حسب الطريقة الرومانية – وذلك لتقليل إمكانية الإنزلاق بعد تساقط الأمطار الغزيرة . فيطرح خارجاً ويداس من الناس. كان الرومان يستخدمون الملح الفاسد فى رصف الطرق الجليدية وقت الشتاء حتى تستطيع المركبات السير عليها دون أن تتزحلق.

# إفتدانا المسيح بموته على الصليب

## للقديس يوحنا الذهبيّ الفم

كما أنّ الملوك إذا خاطبوا الرعيّة بواسطة الكُبرآء والرسل والحجَّاب ونظرائهم إذا لم يمتثلوا إرادتهم ولم يرجعوا عن غيّهم ، تراهم يتشكّلون بزيّ بعض التجّار أوالسيّاح ويجولون في بلادهم ويتصرّفون بين رعاياهم كعامّة النّاس ليخاطبوهم من حيثُ يفهمون ، ويُقَرّبوا لهم المقاصد الصالحة ليُقبلوا إلى الطاعة ويعيشوا ولا يهلكوا.

كذلك خالق طبائعنا والمتحنّن على جنسنا. فإنّه ظَهَرَ لجنس البشر أولاً بأشكال خياليّة عرضة لتدبير أمور عالميّة قريبة الزوال. فظهَرَ لآدم كإنسان يُسمَع صوت مشيه على الأرض. وظَهَرَ لإبراهيم كإنسان عابر سبيل . وظَهَرَ لدانيال كإنسان جالس على كرسيٍّ وشعرهُ أبيض كالثلج. وظهرَ ليعقوب كإنسان على سُلَّم طرفٌ منه في الأرض وطرفٌ في السماء. وظَهَرَ لموسى في العلّيقة. وظَهَرَ لأشعياء في شكل رجل. وليشوع في شكل ملاك. وأمثال ذلك كثيرةٌ.

وحين كَمُلَت شريعة العدل الأولى الزائلة ، وقَرُبَت شريعة الكمال الدائمة ، **ظَهَرَ بشكل إنسان حقيقيّ الطبيعة** لسياسة أمور حقيقيّة دائمة لا زوال لها. ولذلك قال تعالى وظهرتُ لهم على أيدي عبيدي الأنبياء بكل الأشياء.

وقال بولس الرسول بأنواع كثيرة وأشباه شتَّى كلَّم اللّه آبآءَنا على ألسُن الأنبياء من قديم الدهر. وأما في هذه الأيّام الأخيرة فكلّمنا بإبنه الوحيد الذي جعله وارثاً لكلّ شيء. وكما رضيَ أن يكون إنساناً رَضيَ بتوابع الإنسانيّة كما علّمنا منّهُ الفضل بأعماله الفاضلة. فصامَ **بالجسد** . وسجدَ **بالجسد**. وأكل وشرب **بالجسد**. وكذلك فدانا من الهلاك وأنقذنا من الموت بصلبهِ **بالجسد** وموته **بالجسد** . وقيامتهَ **بالجسد** . وكمَّلَ التدبير اللائق بجلاله تعالى.

وكما أنّ الملك العظيم الهمَّة العالي الشأن إذا حُبسَ غُلامه في الغربة فتشكَّلَ هو بشكل أهل تلك البلاد واحتال في خلاص عبده. واحتمل لأجله بذلك الشكل ما كان يستوجبهُ العبد من الألم والهوان فما ناله من ذلك الهوان لا يُعَدُّ نقصاً بل تَعُدّه العقلآء شرفاً ويكون بذلك أُبَّهة الكمال والفضل وعلوّ الذكر ونهاية المروءَة. وينقل ذلك عنه رواة الأخبار والمؤرخّون.

هكذا لما تحنَّن ربّنا علينا وتعطَّف على ضعفنا **وتجسّد لخلاصنا**.

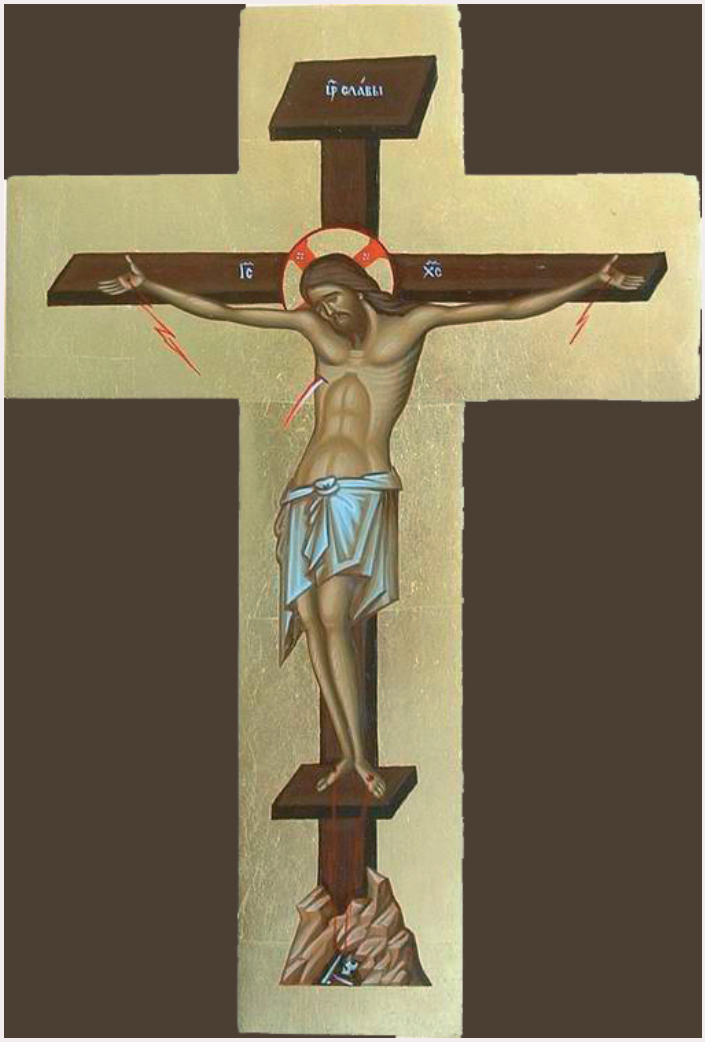

**واحتمل بجسده الآلام التي استوجبناها نحنُ**. ونَهَج لنا طريق الخلاص من عدوّنا. لا يُعَدُّ ذلك الهوان نقصاً بل يكون لهُ به كمال الجود وغاية الفضل. ولنا غاية الشرف والخلاص من الجحيم.

وكما أنّ ذلك الملك لو أراد خلاص عبده بالقهر لأرسَلَ الجيوش والعساكر وأهلَك أولئك المُضادّين ، هكذا لو أراد سيّدنا لهُ المجد خلاص جنسنا عنوةً لأرسَل ربوات من الملائكة وأهلك أولئك المضادّين بالحريق أو بالغريق أو بالصواعق وغير ذلك. وإلاّ فالقادر الذي أعطى رسلهُ السلطان أن يُقيموا الأموات ، ويشفوا المرضى ، ويغلبوا الملوك ، ويقهروا الفلاسفة ، ويجذبوا العالم إلى آرائهم ألَم يكُن قادراً أن يقهر مشايخ اليهود ، وجنود بيلاطس. وكما أنّ ذلك الشكل الذي تشكَّل به الملك لخلاص عبده يكون عند أهل بلاد الملك وجنوده وعشائره ورَعاياهُ العارفين قَصدُه معظّماً جليلاً.

كذلك الشكل الذي ظهر به ربّنا يجب أن يكون عندنا جليلاً مكرّماً. فلا نستنكف الآن أيّها المؤمنون من ذكر صليب المسيح فإنّه:

**رأس الخيرات. وبداءَة الحيوة. وآلة النجاة. وإكليل الفخر. وراية الظفر. وسلاح الغلبة. وعلامة الخلاص. بل نرسمهُ على جباهنا. ونصنع مثالهُ على أموالنا وبيوتنا ومزارعنا. ونختم به على قلوبنا ، ونحتفظ به من أعدآئنا. ونقترب به من ربّنا الذي لهُ المجد إلى الأبد. آمين.**